((منهج الإمام «الطبري» في التعامل مع «الإسرائيليات»

من خلال تفسيره لـ«قصص سورة الكهف»))

للباحث:

هشام السيد إبراهيم مصطفى خضر

المدرس المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب

ملخص البحث:

كانت «الإسرائيليات» ولا تزال محل بحث ودراسة نظرا لما أثارته من جدل بين أهل العلم؛ فمنهم رافض لها، ومنهم مؤيد، ومن متأن ناقد، ولم يخلُ زمان من هذا الجدل حتى زمن «الصحابة»، ذلك أن دخول «الإسرائيليات» فى التفسير أمر يرجع إلى عهد «الصحابة»، غير أن الصحابة لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شئ، ولم يقبلوا منهم كل شئ، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحًا للقصة وبيانًا لما أجمله «القرآن» منها، مع توقفهم فيما يُلقى إليهم، فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب امتثالا لأمر النبي (صلى الله عليه وسلم): {لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكَذِّبوهم..} الحديث. غير أن الأمر تطور والحال تغير بعد مُضي عهد «الصحابة» ابتداءا من عهد «التابعين» مرورا بمن جاء بعدهم حتى وصلنا إلى عصر التدوين؛ حيث توسع «التابعون» فى الأخذ عن «أهل الكتاب»، فكثرت على عهدهم «الروايات الإسرائيلية» فى التفسير، ثم جاء بعد عصر التابعين مَن عظم شغفه بـ«الإسرائيليات»، وأفرط فى الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردُّون قولا. إلى أن جاء عصر التدوين، فوُجِد من المفسِّرين مَنْ حشوا كتبهم بهذا «القصص الإسرائيلى»، الذى كاد يصد الناس عن النظر فيها والركون إليها. ولم يكن الإمام «ابن جرير الطبري» بمعزل عن ذلك التطور وهذا التغير، بل كان منخرطا فيه بقوة، ذلك أن الناظر في تفسيره يجده يأتى بأخبار مأخوذة من «القصص الإسرائيلى»، يرويها بإسناده إلى أقطاب الرواية الإسرائيلية«كعب الأحبار»، و«وهب بن منبِّه»، و«ابن جريج»، وغيرهم، كما يجده ينقل عن «محمد بن إسحاق» كثيرًا مما رواه عن «مسلمة النصارى». ويرجع السبب في ذلك إلى تأثره بـ«الروايات التاريخية» التى عالجها فى بحوثه التاريخية الواسعة، وينهض دليلا على ذلك أنه في المباحث التاريخية التي تخص «القصص القرآني» توسع فيها ما لم يتوسع في غيرها، وهذا يدل على تأثره بالروايات التاريخية، وقد حاول بعض أهل العلم الدفاع عن «ابن جرير» من جهة أنه يروي هذه الروايات الإسرائيلية من أجل نقدها، وأن استدلاله بها كان يقوم مقام الاستدلال بالشِّعر القديم، وهذا ما كشف هذا البحث عن خطئه، حيث كشفت عن أن تعامل «الطَبري» مع «الإسرائيليات» لم يكن سطحيا، ولم تكن النتائج المترتبة على روايته لها هامشية، بل إن المتأمل لتفسيره – وقد فعلتُ ذلك من خلال تفسيره لـ«قصص سورة الكهف» - يجد أن «الإسرائيليات» قد لعبت دورا هاما في الكشف عن «المبهمات» كما لعبت دورا لا يقل أهمية في توجيه اختيارات «الطبري» التأويلية للقصص القرآني.

مقدمة:

«الإسرائيليات»: جمع «إسرائيلية»، نسبة إلى «بني إسرائيل»، والنسبة في مثل هذا تكون لعجُز المركب الإضافي لا لصدره، و«إسرئيل» هو: «يعقوب» (عليه السلام) أي: عبد الله، و«بنو إسرائيل» هم: «أبناء يعقوب»، ومن تناسلوا منهم فيما بعد، إلى عهد «موسى» ومن جاء بعده من الأنبياء، حتى عهد «عيسى» (عليه السلام)، وحتى عهد نبينا «محمد» (صلى الله عليه وسلم). وقد عرفوا بـ«اليهود» أو بـ«يهود» من قديم الزمان. أما من آمنوا بـ«عيسى»؛ فقد أصبحوا يطلق عليهم اسم «النصاري». وأما من آمن بخاتم الأنبياء؛ فقد أصبح في عداد «المسلمين»، ويعرفون بـ«مسلمي أهل الكتاب». وقد أكثر الله من خطابهم بـ«بني إسرائيل» في «القرآن الكريم» تذكيرا لهم بأبوة هذا النبي الصالح، حتى يتأسوا به، ويتخلقوا بأخلاقه[(١)].

وقد تكلم الدكتور: «محمد بن محمد أبو شهبة» عن المكون الثقافي لدى «اليهود» باعتبارهم – من وجهة نظره – المصدر الأساسي – بل والوحيد – الذي استُقيَ منه كل هذه «الإسرائيليات»، فلم يقتصر هذا المكون الثقافي – من وجهة نظره – على «التوراة» الذي يعد أشهر كتبهم، بل امتد ليشمل «الزبور» - الذي هو كتاب «داود» (عليه السلام)- وكذلك أسفار الأنبياء الذين جاءوا بعد «موسى» (عليه وعليهم السلام)، هذه الأسفار كوَّنت مع «التوراة» ما سُمي بـ«العهد القديم». وإلى جانب هذه الثقافة المدونة المسماة بـ«العهد القديم» كانت الثقافة الشفاهية والتي تسمى «التلمود»، وهو مجموعة قواعد ووصايا، وشرائع دينية وأدبية ومدنية، وشروح، وتفاسير، وتعاليم، وروايات كانت تتناقل وتدرس شفهيا من حين إلى آخر. من مجموع ذلك تكونت ثقافة «اليهود» التي صارت بعد ذلك مصدرا للتفسير، ومنبعا أصيلا للإسرائيليات التي زخرت بها بعض كتب التفسير، والتاريخ والقصص والمواعظ[(٢)].

وإذا كان الدكتور: «محمد أبو شهبة» قد قصر مصادر الإسرائيليات على الجانب اليهودي؛ فإن الدكتور: «محمد حسين الذهبي» قد توسع فيها لتشمل الجانب اليهودي وكذلك الجانب النصراني منه[(٣)]. وقد أشار الدكتور: «محمد أبو شهبة» إلى رأي الدكتور: «محمد حسين الذهبي» هذا، ورد عليه بـ "... أن ما في كتب التفسير من «المسيحيات» أو من «النصرانيات» هو شيء قليل بالنسبة إلى ما فيها من «الإسرائيليات»، ولا يكاد يذكر بجانبها، وليس لها من الآثار السيئة ما للإسرائيليات؛ إذ معظمها في الأخلاق، والمواعظ، وتهذيب النفوس، وترقيق القلوب"[(٤)].

وصحيح ما قال الدكتور «محمد أبو شهبة» من جهة التأثير، وأما من جهة الوجود؛ فيبدو أن الدكتور: «محمد حسين الذهبي» كان واعيا بالقدر الذي مكنه من التوسع في مصادر الإسرائيليات وإدخال الجانب النصراني فيه، ففي محاولة منه للكشف عن مغايرة «المنهج القرآني» في عرض القصص مع «التوراة» و«الإنجيل» قال (رحمه الله): "وإذا نحن أجَلْنَا النظر فى «التوراة» و«الإنجيل» نجد أنهما قد اشتملا على كثير مما اشتمل عليه «القرآن الكريم»، وبخاصة ما كان له تعلق بقصص الأنبياء (عليهم السلام)،

(١) انظر: د.محمد بن محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير، ص١٢، الطبعة الرابعة، مكتبة السنة، القاهرة – مصر، د.ت، ا.ج.

(٢) انظر: د.محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير، ص١٢ و١٣.

(٣) انظر: د.محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج١، ص١٢١، طبعة مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، ٢٠٠٠م، ٣ج.

(٤) د.محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير، ص١٤.

وذلكٍ على اختلاف فى الإجمال والتفصيل، فـ«القرآن» إذا عرض لقصة من قصص الأنبياء - مثلا - فإنه ينحو فيها ناحية يخالف بها منحى «التوراة» و«الإنجيل»، فتراه يقتصر على مواضع العظة، ولا يتعرض لتفصيل جزئيات المسائل، فلا يذكر تاريخ الوقائع، ولا أسماء البلدان التى حصلت فيها، كما أنه لا يذكر فى الغالب أسماء الأشخاص الذين جرت على أيديهم بعض الحوادث. ويدخل فى تفاصيل الجزئيات، بل يتخيَّر من ذلك ما يمس جوهر الموضوع، وما يتعلق بموضع العبرة. وإذا نحن تتبعنا هذه الموضوعات التى اتفق فى ذكرها «القرآن» و«التوراة»، أو «القرآن» و«الإنجيل»، ثم أخذنا موضوعًا منها، وقارنا بين ما جاء فى الكتابين وجدنا اختلاف المسلك ظاهرًا جليًا"[٥].

ثم أخذ لذلك مثالا لما جاء في «القرآن» موافقا ما جاء في «التوراة» من حيث الموضوع وإن اختلف عنه من حيث التناول، وهو «قصة آدم» (عليه السلام)، التي ورد ذكرها فى «القرآن» مجملا[٦]، وفى «التوراة» مفصلا[٧] .. [٨].

ثم أخذ مثالا لما جاء في «القرآن» موافقا ما جاء في «الإنجيل»؛ حيث قال: "ومثلًا نجد «القرآن الكريم» قد اشتمل على موضوعات وردت فى «الإنجيل»، فمن ذلك «قصة عيسى ومريم»، ومعجزات «عيسى» (عليه السلام)، كل ذلك جاء به «القرآن» فى أسلوب موجزٍ، يقتصر على موضع العظة، ومكان العبرة، فلم يتعرَّض «القرآن» لنسب «عيسى» مفصَّلًا، ولا لكيفية ولادته، ولا للمكان الذى وُلِدَ فيه، ولا لذكر الشخص الذى قذِفت به «مريم»، كما لم يتعرض لنوع الطعام الذى نزلت به مائدة السماء، ولا لحوادث جزئية من إبراء «عيسى» للأكمه والأبرص وإحياء الموتى. مع أننا لو نظرنا فى «الإنجيل» لوجدناه قد تعرَّض لنسب «عيسى»، ولكيفية ولادة «مريم» له، ولذكر الشخص الذى قذِفت به «مريم»[٩]، ولنوع الطعام الذى نزلت به مائدة السماء[١٠]، ولحوادث جزئية من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى[١١]، ولكثير من مثل هذا التفصيل الموسَّع الذى أعرض عنه «القرآن» فلم يذكره لنا"[١٢].

ويرى الدكتور: «محمد حسين الذهبي» أن هذا الإيجاز الموجود في «القرآن» وذلك التفصيل الموجود في «التوراة» والإنجيل» كانا سببا في تشوف النفوس إلى «الإسرائيليات»؛ حيث يقول (رحمهٍ الله): "وبعد... فهل يجد المسلمون هذا الإيجاز فى كتابهم، ويجدون بجانب ذلك تفصيلا لهذا الإيجاز فى كتب الديانات الأخرى، ثم لا يقتبسون منها بقدر ما يرون أنه شارح لهذا الإيجاز وموضِّح لما فيه من غموض؟"[١٣].

من هنا كان مبدأ دخول «الإسرائيليات» فى التفسير وتطوره، وهو أمر يرجع إلى عهد «الصحابة» (رضي الله عنهم) – كما أشار الدكتور «الذهبي» - ، حيث كان الرجوع إلى أهل الكتاب مصدراً من مصادر التفسير عندهم، "... غير أن الصحابة (رضوان الله عليهم أجمعين) لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شئ، ولم يقبلوا منهم كل شئ، بل كانوا يسألون

(٥) د.محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج١، ص١٢٢.

(٦) أشار بذلك إلى موضعي «البقرة» و«الأعراف».

(٧) انظر: العهد القديم .. الإصحاح الأول من سفر التكوين، ص٤ - ٥.

(٨) انظر: د.محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج١، ص١٢٢.

(٩) انظر: العهد الجديد .. إنجيل متى .. الإصحاح الأول، ص١.

(١٠) انظر: العهد الجديد .. إنجيل مرقص .. الإصحاح الثاني، ص٤٧.

(١١) انظر: العهد الجديد .. إنجيل متى .. الإصحاح الأول، ص٨ و١٠ و٤٠.

(١٢) د.محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج١، ص١٢٣.

(١٣) د.محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج١، ص١٢٣.

عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحًا للقصة وبيانًا لما أجمله «القرآن» منها، مع توقفهم فيما يُلقى إليهم، فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب ما دام يحتمل كلا الأمرين، امتثالا لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): {لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكَذِّبوهم، وقولوا: (آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا)[١٤] الآية}[١٥]. كما أنهم لم يسألوهم عن شئ مما يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام، اللهم إلا إذا كان على جهة الاستشهاد والتقوية لما جاء به «القرآن». كذلك كانوا لا يعدلون عما ثبت عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) من ذلك إلى سؤال أهل الكتاب، لأنه إذا ثبت الشئ عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) فليس لهم أن يعدلوا عنه إلى غيره، كما كانوا لا يسألون عن الأشياء التى يُشبه أن يكون السؤال عنها نوعًا من اللهو والعبث، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف، والبعض الذى ضُرب به القتيل من «البقرة»، ومقدار «سفينة نوح»، ونوع خشبها، واسم الغلام الذى قتله الخضَر.. وغير ذلك، ولهذا قال «الدهلوي» بعد أن بيّن أن السؤال عن مثل هذا تكلف ما لا يعنى: "وكانت «الصحابة» (رضي الله عنهم) يعدون مثل ذلك قبيحًا من قبيل تضييع الأوقات". كذلك كان «الصحابة» لا يُصَدِّقون اليهود فيما يخالف الشريعة أو يتنافى مع العقيدة. بل بلغ بهم الأمر أنهم كانوا إذا سألوا أهل الكتاب عن شئ فأجابوا عنه خطأ، رَدُّوا عليهم خطأهم. وبيَّنوا لهم وجه الصواب فيه..."[١٦]. يقول الدكتور: «محمد حسين الذهبي»: "هذا هو مبلغ رجوع الصحابة إلى أهل الكتاب وأخذهم عنهم"[١٧].

هكذا كان منهج «الصحابة» في التعامل مع «الإسرائيليات»، وهو – لا شك – المنهج الأمثل، غير أن الأمر تطور والحال تغير بعد مُضي عهد «الصحابة» ابتداءً من عهد «التابعين» مرورا بمن جاء بعدهم حتى وصلنا إلى عصر التدوين؛ حيث توسع «التابعون» فى الأخذ عن «أهل الكتاب»، فكثرت على عهدهم «الروايات الإسرائيلية» فى التفسير، ثم جاء بعد عصر التابعين مَن عظم شغفه بـ«الإسرائيليات»، وأفرط فى الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردُّون قولا. ولا يحجمون عن أن يلصقوا بـ«القرآن» كل ما يُروَى لهم وإن كان لا يتصوره العقل!! واستمر هذا الشغف بـ«الإسرائيليات»، والولع بنقل هذه الأخبار التى أصبح الكثير منها نوعًا من الخرافة إلى أن جاء عصر التدوين، فوُجِد من المفسِّرين مَنْ حشوا كتبهم بهذا «القصص الإسرائيلى»، الذى كاد يصد الناس عن النظر فيها والركون إليها[١٨].

❖❖❖

(١٤) سورة المائدة: الآية ٥٩.

(١٥) الحديث: رواه «البخاري» في «صحيحه» من حديث «أبي هريرة» (رضي الله عنه). (انظر: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت٢٥٦هـ): الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعرف بـ«صحيح البخاري»، ج٤، ص١٦٣٠، رقم (٤٢١٥)، ج٦ (ص٢٦٧٩، رقم ٦٩٢٨) و (ص٢٧٤٢ ، رقم ٧١٠٣)، تحقيق وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٦ج).

(١٦) د.محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج١، ص١٢٣ و١٢٤.

(١٧) المرجع نفسه: ج١، ص١٢٨.

(١٨) انظر: المرجع نفسه: ج١، ص١٢٨ و١٢٩.

المبحث الأول: موقف الإمام «الطبري» من «الإسرائيليات»:

لم يكن «ابن جرير» بمعزل عن ذلك التطور وهذا التغير، بل كان منخرطا فيه بقوة، ذلك أن الناظر في تفسيره يجده يأتى بأخبار مأخوذة من «القصص الإسرائيلى»، يرويها بإسناده إلى أقطاب الرواية الإسرائيلية[١٩] «كعب الأحبار»، و«وهب بن منبِّه»، و«ابن جريج»، وغيرهم، كما يجده ينقل عن «محمد بن إسحاق» كثيراً مما رواه عن «مسلمة النصارى»[٢٠]. وقد أرجع الدكتور: «محمد حسين الذهبي» - السبب في إكثار «ابن جرير» من رواية «الإسرائيليات» إلى تأثره بـ "... «الروايات التاريخية» التى عالجها فى بحوثه التاريخية الواسعة"[٢١].

وينهض دليلا على ذلك أنه في المباحث التاريخية التي تخص «القصص القرآني» توسع فيها ما لم يتوسع في غيرها، وهذا يدل على تأثره بالروايات التاريخية كما قال د.«الذهبي»، وقد جاء فى «معجم الأدباء» وصف مسهب لـ«تفسير ابن جرير»، جاء فى آخره ما نصه: "... ولم يتعرض – أي «ابن جرير» - لتفسير غير موثوق به، فإنه لم يُدخل فى كتابه شيئًا عن كتاب «محمد بن السائب الكلبى»، ولا «مقاتل بن سليمان»، ولا «محمد بن عمر الواقدى»؛ لأنهم عنده أظنَّاء. والله أعلم. وكان إذا رجع إلى «التاريخ» و«السير» و«أخبار العرب» حكى عن «محمد بن السائب الكلبى»، وعن ابنه «هشام»، وعن «محمد بن عمر الواقدى»، وغيرهم فيما يُفتقر إليه، ولا يُؤخذ إلا عنهم"[٢٢].

وقد حاول الأستاذ «محمود شاكر» الدفاع عن «ابن جرير» في مقدمة تحقيقه لتفسيره؛ حيث قال: "ولما رأيتُ أن كثيراً من العلماء كان يعيبُ على «الطبري» أنه حشَدَ في كتابهِ كثيراً من الرواية عن السالفين - الذين قرأوا الكتُب، وذكروا في معاني «القرآن» ما ذكروا من الرواية عن أهل الكتابَيْن السالِفيْن: «التَّوراة» و«الإنجيل» - أحببتُ أن أكشفَ عن طريقة «الطبري» في الاستدلال بهذه الرواياتٍ رواية رِواية، وأبيّن كيف أخطأَ الناسُ في فهم مقصده، وأنّه لم يَجعل هذه الروايات قط مهيمنة علِى كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وأحببتُ أن أبيّن عند كلِّ روايةٍ مقالة الطبريّ في إسنادِها، وأنه إسنادٌ لا تقوم به حُجَّةٌ في دين الله، ولا في تفسير كتابه، وأن استدلاله بها كان بقوم مقام الاستدلالِ بالشِّعر القديم، على فهم معنى كلمة، أو للدلالة على سياقِ جملة"[٢٣].

---

(١٩) عقد الدكتور «محمد حسين الذهبي» مبحثا تكلم فيه عن «أقطاب الرواية الإسرائيلية» وذكر أنهم أربعة؛ يقول: "يتصفح الإنسان كتب التفسير بالمأثور، فلا يلبث أن يلحظ أن غالب ما يرى فيها من «إسرائيليات»، يكاد يدور على أربعة أشخاص؛ هم: «عبد الله بن سلام»، و«كعب الأحبار»، و«وهب بن منبِّه»، و«عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج». وهؤلاء الأربعة اختلفت أنظار الناس فى الحكم عليهم والثقة بهم، فمنهم من ارتفع بهم عن حد التهمة، ومنهم من رماهم بالكذب وعدم التثبت فى الرواية"ا.هـ (د.محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج١، ص١٣٣). وللوقوف على ذلك. (راجع: المرجع نفسه، ج١، ص١٣٣ - ١٤٤) حيث تجده في خلال هذه الصفحات ترجم لهؤلاء الأربعة، وبين آراء العلماء فيهم، وفند تلك الآراء بشيء من الروية والاتزان، بما يجلي الحقيقة أمام القارئ، ويجعله متحملا مسؤولية ما ينقل عنهم؛ فبعد أن أنهى غرضه من هذا المبحث توجه إلى القارئ بقوله: "وبعد... فهؤلاء هم أقطاب الإسرائيليات، وعليهم يدور كثير مما هو مبثوث فى كتب التفسير، وسواء أكان كل ما يُنسب إليهم صح عنهم أم وُضِعَ عليهم، فقد علمتَ قيمة كل واحد منهم، وعلمت قيمة ما يُروَى من هذه الإسرائيليات وما يجوز روايته وما لا يجوز"ا.هـ.

(٢٠) انظر: د.محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج١، ص١٥٤.

(٢١) الموضع نفسه.

(٢٢) انظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١٨، ص٦٤ و٦٥، طبع مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة – مصر، ١٩٣٦م.

(٢٣) انظر: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل آي القرآن، مقدمة التحقيق، ج١، ص١٦ و١٧، حققه وعلق حواشيه: محمود محمد شاكر، راجعه وخرج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٢٤ج.

وهذا الذي ذكره (رحمه الله) موضع نظر، ذلك أن تعامل «الطبري» مع «الإسرائيليات» لم يكن سطحيا، ولم تكن النتائج المترتبة على روايته لها هامشية، بل إن المتأمل لتفسيره – وقد فعلتُ ذلك من خلال تفسيره لـ«قصص سورة الكهف» - يجد أن «الإسرائيليات» قد لعبت دورا مُهمًّا في الكشف عن «المبهمات» كما لعبت دورا لا يقل أهمية في توجيه اختيارات «الطبري» التأويلية للقصص القرآني - على نحو ما سأبين تفصيلا في المبحث التالي.

❖❖❖

المبحث الثاني: دور «الإسرائيليات» في توجيه اختيارات «الطبري» التأويلية للقصص القرآني:

من خلال تأمل «قصص سورة الكهف» وجد الباحث أن «الإسرائيليات» قد لعبت دورا كبيرا في توجيه اختيارات «الطبري» التأويلية للقصص القرآني؛ فعند ذكره قول الله تعالى في «قصة ذي القرنين»: (مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ)[٢٤] قال: "اختلف أهل التأويل في معنى الإفساد الذي وصف الله به هاتين الأمتين، فقال بعضهم: كانوا يأكلون الناس"[٢٥]. ثم ذكر ذلك عن «سعيد بن عبد العزيز»[٢٦]. ثم كشف عن الرأي الآخر؛ فقال: "وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن «يأجوج ومأجوج» سيفسدون في الأرض، لا أنهم كانوا يومئذ يفسدون"[٢٧]. ثم قال: "ذكر من قال ذلك، وذكر صفة اتباع «ذي القرنين» الأسباب التي ذكرها الله في هذه الآية، وذكر سبب بنائه للردم"[٢٨]. فبدأ بذكر رواية إسرائيلية عن «محمد بن إسحاق» ذكر فيها اسم «ذي القرنين»، ونسبه، ومن أين هو؟ فقال: "حدثنا «ابن حميد»، قال: ثنا «سلمة»، قال: ثنا «محمد بن إسحاق»، قال: ثني بعض من يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب، ممن قد أسلم، مما توارثوا من علم «ذي القرنين»، أن «ذا القرنين» كان رجلا من أهل مصر اسمه «مرزبا بن مردبة اليوناني»، من ولد «يونن بن يافث بن نوح»"[٢٩]. فأثبت من خلال هذه الرواية أنه رجل من مصر.

ثم ذكر رواية إسرائيلية طويلة، تخالف الأولى، وتحمل السند نفسه متصلا إلى «محمد بن إسحاق» - إلا أنه عيَّن مجهولا من المجاهيل التي ذكر من قبل؛ وهو «وهب بن منبه اليماني»؛ فقال: "حدثنا «ابن حميد»، قال: ثنا «سلمة»، قال: ثني «محمد بن إسحاق»، قال: فحدثني من لا أتهم عن «وهب بن منبه اليماني»، وكان له علم بالأحاديث الأول[٣٠]، أنه كان يقول: "«ذو القرنين» رجل من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره،

(٢٤) سورة الكهف: الآية ٩٤.
(٢٥) الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص١٠٤.
(٢٦) انظر: الموضع نفسه.
(٢٧) الموضع نفسه.
(٢٨) الموضع نفسه.
(٢٩) الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص١٠٤.
(٣٠) يقصد «الإسرائيليات».

وكان اسمه «الإسكندر». وإنما سمي «ذا القرنين» أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس"[٣١]، فخالف بذلك ما جاء في الرواية السابقة، ثم ذكر في هذه الرواية كلاما طويلا[٣٢]، ذكر فيه حوارا بين «ذي القرنين» وبين الله (عزوجل)[٣٣]، هذا الحوار يدل على نبوته، وهو عكس ما جاء في صدر الرواية من كونه رجلا صالحا، أو لعله من قبل عطاء التحديث، وإن كان، فمن الذي سمع هذا الحوار لينقله لنا، ولو نقله هو نفسه، فلم لم يدلنا الراوي على ذلك.

وسمَّى في هذه الرواية الأمم التي مر بها «ذو القرنين»، فذكر أنهم أربعة أمم؛ اثنان هما: «ناسك» و«منسك» بينهما طول الأرض، الأولى عند مغرب الشمس، والثانية عند مطلعها. والأخريان: «هاويل» و«تاويل» بينهما عرض الأرض؛ الأولى في قطر الأرض الأيمن، والثانية في قطر الأرض الأيسر[٣٤]. فذكر من أوصاف هؤلاء الأمم العجب العجاب[٣٥].

ثم ذكر «يأجوج ومأجوج» وذكر من أوصافهم ما لا يمكن قبوله بحال؛ فذكر أن «ذا القرنين» "..انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم، وتوسط بلادهم، فوجدهم على مقدار واحد، ذكرهم وأنثاهم، مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا، لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا، وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها. وأحناك كأحناك الإبل، قوّة تسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الجرّة من الإبل، أو كقضم الفحل المسنّ، أو الفرس القويّ، وهم هلب، عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم، وما يتقون به الحرّ والبرد إذا أصابهم، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان: إحداهما وبرة ظهرها وبطنها، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها، تَسعانه إذا لبسهما، يلتحف إحداهما، ويفترش الأخرى، ويصيف في إحداهما، ويشتي في الأخرى، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذى يموت فيه، ومنقطع عمره، وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد، فإذا كان ذلك أيقِن بالموت ،...، وهم يتداعَون تداعي الحمام، ويعوُون عُواء الكلاب، ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم"[٣٦].

وهذا الذي ذكره من «أوصاف يأجوج ومأجوج» لا يمكن قبوله بحال سيما وأنه ذكر أنهم يعرفون آجالهم، وهذا مخالف لصريح الكتاب وصحيح السنة[٣٧]، والأعجب منه قوله: "وهم يرزقون «التنين» أيام الربيع، ويستمطرونه إذا تحينوه كما نستمطر الغيث لحينه، فيقذفون منه كلّ سنة بواحد، فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من العام القابل، فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم، فإذا أمطروا وأخصبوا وعاشوا وسمنوا، ورؤي أثره عليهم، فدرّت عليهم الإناث، وشَبقت منهم الرجال الذكور، وإذا أخطأهم هَزَلوا وأجدبوا، وجفرت الذكور، وحالت الإناث، وتبين أثر ذلك عليهم"[٣٨]، فذكر «التنين»، و«التنين» نوع من الحيوان لا يذكر إلا في «الأساطير».

(٣١) الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص١٠٥.
(٣٢) انظر: المصدر نفسه: ج١٨، ص١٠٥ - ١١٠.
(٣٣) انظر: المصدر نفسه: ج١٨، ص١٠٥.
(٣٤) انظر: الموضع نفسه.
(٣٥) انظر: المصدر نفسه: ج١٨، ص١٠٥ و١٠٦.
(٣٦) المصدر نفسه: ج١٨، ص١٠٧ و١٠٨.
(٣٧) لقوله تعالى: (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [لقمان: ٣٤].
(٣٨) الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص١٠٨.

وهذا يثبت أن ما قاله في هذه الرواية ضرب من الخيال. دلَّ على ذلك – أيضا – كلامه عن هذه الأمة الصالحة التي وجدها «ذو القرنين» بعد أن أنهى أمر «يأجوج ومأجوج»، فذكر من أوصافها الشيء الكثير[٣٩]، ولا يخفى أن قائل ذلك لعله يتكلم عن «المدينة الفاضلة» التي تكلم عنها «أفلاطون»، وبما أن «ذا القرنين» تلميذ «أرسطاطاليس» الذي هو تلميذ «أفلاطون» – على قول بعضهم – فلا غرابة من أن ينسج من خياله مثل هذا، أو لعل قائل ذلك يتكلم عن أوصاف «أهل الجنة». ولا يمكن بحال أن يكون ذلك موجوداً على الأرض إلا أن يكونوا أنبياء أو ملائكة، وليسوا كذلك.

فبان بذلك اضطراب هذه الرواية وضعفها. ومثل هذا يدخل تحت النوع الذي نكذبه، ولا نصدقه، ولا يجوز لنا ذكره إلا لبيان ما فيه من الكذب، وليس أدل على ذلك من أنه لما تكلم عن أوصاف «يأجوج ومأجوج» – ذكر أنهم يعرفون آجالهم، وهذا مما انفرد الله بعلمه، وهذا كلام يصطدم مع الكتاب والسنة وثوابت هذا الدين. فتكذيبه واجب. وليس هذا مما يُتَوَقفُ فيه. والله أعلم.

ومما يدل على ضعف هذه الرواية – أيضا- الأثر الذي ذكره عن «أبي الزاهرية» و«شريح بن عبيد»: "أن «يأجوج ومأجوج» ثلاثة أصناف: صنف طولهم كطول الأرز[٤٠]، وصنف طوله وعرضه سواء، وصنف يفترش أحدهم أذنه، ويلتحف بالأخرى، فتغطي سائر جسده"[٤١]. هذا الأثر يتعارض مع ما جاء في رواية «وهب بن منبه» من كونهم كانوا على هيئة واحدة؛ حيث قال: "فوجدهم على مقدار واحد، ذكرهم وأنثاهم، مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا"[٤٢]. ولهذا الأثر أصل، وهو ما نقله «القرطبي» عن «الغزنوي» من حديث «عبد الله بن مسعود» عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في وصف «يأجوج ومأجوج»؛ قال: {هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز، وصنف عرضه وطوله سواء نحوا من الذراع، وصنف يفترش أذنه، ويلتحف بالأخرى..} الحديث[٤٣]. فذكر النبي

---

(٣٩) راجع: المصدر نفسه: ج١٨، ص١٠٨ – ١١٠.

(٤٠) الأرز: شجر الصنوبر،وهو شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع. (انظر: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي: مختار الصحاح، ص١٣، باب الألف، مادة (أرز)، تحقيق: محمود خاطر، طبعة مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ١ج).

(٤١) الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص١١١.

(٤٢) المصدر نفسه: ج١٨، ص١٠٧.

(٤٣) انظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص٥٦ و٥٧، تحقيق: أحمد البردوني – إبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة – مصر، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، ٢٠ج، ١٠مج. وهذا الحديث لم أجده عند أحد من أهل الحديث بهذا المتن وهذا السند، لكني وجدت حديثا رواه «الطبراني» في «الأوسط» و«المحاملي» في «أماليه» من حديث «حذيفة بن اليمان»؛ قالا: حدثنا «علي بن سعيد الرازي» قال: نا «محمد بن عمرو بن حنان الحمصي» قال: نا «يحيى بن سعيد العطار» قال: نا «محمد بن إسحاق» عن «الأعمش» عن «شقيق بن سلمة» عن «حذيفة بن اليمان» قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن «يأجوج ومأجوج» قال: {«يأجوج» أمة و«مأجوج» أمة كل أمة أربعمائة ألف أمة لا يموت الرجل حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من صلبه كل واحد قد حمل السلاح}. قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: {هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز – قلت: وما الأرز؟ قال: {شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء} فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): {هؤلاء الذين لا يقوم لهم حيل ولا حديد. وصنف منهم يفترش بأذنه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه. مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة «طبرية»}. قال «الطبراني»: "لم يرو هذا الحديث عن «الأعمش» إلا «محمد بن إسحاق» ولا عن «محمد بن إسحاق» إلا «يحيى بن سعيد العطار»" انتهى. و«العطار» هذا ضعفه بعض أهل العلم؛ قال «الهيثمي» بعد أن نقل هذا الحديث: "رواه «الطبراني» في «الأوسط»، وفيه «يحيى بن سعيد العطار»، وهو ضعيف". (انظر: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني: المعجم الأوسط، ج٤، ض١٥٥ و١٥٦، رقم (٣٨٥٥)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد – عبد المحسن بن

(صلى الله عليه وسلم) - كما جاء في هذا الحديث – ثلاثة أصناف منهم، وأضاف «علي بن أبي طالب» صنفا رابعا؛ قال «الغزنوي» فيما نقله «القرطبي»: "قال «علي» (رضي الله تعالى عنه): "وصنف منهم في طول شبر.."[٤٤]. فظهر من ذلك أنهم ليسوا على هيئة واحدة كما ذكر «وهب».

وقد ذكر «الطبري» حديثا آخر في سياق الكلام عن «يأجوج ومأجوج»؛ فروى بسنده عن «ابن عباس» قال: كان «أبو سعيد الخدريّ» يقول: إن نبيّ الله (صلى الله عليه وسلم) قال: {لا يَمُوتُ رَجُلٌ مِنهُمْ حتى يُولَدَ لِصُلْبِهِ ألْفُ رَجُل}"[٤٥].

وهذا الحديث الذي ذكره لم أجده لا في كتب «الصحاح» ولا في غيرها من كتب «أهل الحديث». فلم يروه إلا «الطبري» – ههنا–، ونقله «القرطبي» في «تفسيره» من غير سند عن «أبي سعيد الخدري»، وذكر الأثر عنه بلفظ مغاير، ثم قال: "ذكره «القشيري»"[٤٦]، ثم ذكر حديثا عن «عبدالله بن مسعود»[٤٧] قال عقيبه: "ذكره «الغزنوي»"[٤٨]، وآخر عن «علي بن أبي طالب»[٤٩] (رضي الله عنه) لم يذكر مصدره - يحملان ذات المعنى، وهناك حديث أورده «ابن كثير» نقلا عن «الطبراني» ومرويا عن «عبد الله بن عمرو» عن النبي (صلى الله عليه وسلم)؛ قال: {إنّ «يأجوج ومأجوج» من ولد «آدم»، ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معايشهم، ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا، وإنَّ من ورائهم ثلاث أمم «تاويل وتأييس ومنسك»}[٥٠]. قال «ابن كثير» - معلقا على هذا الحديث - : "هذا حديث غريب بل منكر ضعيف"[٥١].

وكلها أحاديث كما ترى لم تجد لها قبولا عند «أهل الحديث»، دل على ذلك تعليق «ابن كثير» على إحداها، والدليل على ذلك – أيضا – أن أهل العلم بالحديث لم يودعوها كتبهم، ولا يمكن القول أنها وصلت إلى المفسرين على بعد المسافات، ولم تصل إليهم على قربها.

ولم يمنع ما ذكرناه من ضعف رواية «وهب بن منبه» «الطبري» من أن يبني عليها تأويله لكتاب الله (عز وجل)، بل ويجعلها محلا لاختياره؛ قال (رحمه الله): "فالخبر الذي ذكرناه عن «وهب بن منبه» في «قصة يأجوج ومأجوج»، يدلّ على أن الذين قالوا لـ«ذي القرنين» (إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ) إنما أعلموه خوفَهم ما يحدُث منهم من الإفساد في الأرض، لا أنهم شَكوا منهم فساداً كانَ منهم فيهم أو في غيرهم. والأخبار عن

إبراهيم الحسيني، طبعة دار الحرمين، القاهرة – مصر، ١٤١٥هـ، ١٠ج. وانظر – أيضا-: الحسين بن إسماعيل الضبي المحاملي أبو عبد الله (ت٣٣٠هـ): أمالي المحاملي، ص٣٠٦ و٣٠٧، رقم (٣٢١)، تحقيق: د.إبراهيم القيسي، الطبعة الأولى، المكتبة الإسلامية، عمان – الأردن / دار ابن القيم، الدمام – السعودية، ١٤١٢هـ، ١ج. نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٨، ص١٣ و١٤، رقم (١٢٥٧٢)، طبعة دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٢هـ، ١٠ج).

(٤٤) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص٥٧.

(٤٥) الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص١١١.

(٤٦) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص٥٦.

(٤٧) انظر: المصدر نفسه: ج١١، ص٥٦ و٥٧.

(٤٨) انظر: المصدر نفسه: ج١١، ص٥٧.

(٤٩) انظر: الموضع نفسه.

(٥٠) انظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، ج٥، ص٢٠٠، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٨ج.

(٥١) الموضع نفسه.

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنهم سيكون منهم الإفساد في الأرض، ولا دلالة فيها أنهم قد كان منهم - قبل إحداث «ذي القرنين» السدّ الذي أحدثه بينهم وبين من دونهم من الناس- في الناس غيرهم إفساد"[٥٢]. ثم قال: "فإذا كان ذلك كذلك بالذي بيَّنا، فالصحيح من تأويل قوله (إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأرض)[٥٣] إن «يأجوج ومأجوج» سيفسدون في الأرض"[٥٤]، فبنى ترجيحه على ما جاء في «الإسرائيليات»، وعضده بما جاء في «الأحاديث الموضوعات»، وأما ما ذكره من «الأحاديث الصحاح» - حديث «أبي هريرة»[٥٥] وحديث «أبي سعيد الخدري»[٥٦] - فاستدلاله بهما على ما أراد منهما موضع نظر؛ ذلك أنها أخبرت عما يحدث منهم آخر الزمان، ولم تتعرض لما كان منهم زمن «ذي القرنين» أو قبله، وليس بينهما تعارض.

❖❖❖

المبحث الثالث: دور «الإسرائيليات» في الكشف عن «المبهمات» عند «الطبري»:

لعبت «الإسرائيليات» - أيضا - دورا بالغا عند «الطبري» في الكشف عن «المبهمات» في «قصص سورة الكهف»، ومن عجبٍ ما طالعت في كتاب «التفسير والمفسرون» من نتيجة حاول صاحبه أن يقويها بالمثال، حيث قال: "ومما يلفت النظر في «تفسير ابن جرير» أن مؤلفه لا يهتم فيه - كما يهتم غيره من المفسِّرين - بالأمور التي لا تغني ولا تفيد، فنراه مثلًا عند تفسيره لقوله تعالى في سورة «المائدة»: (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ ياعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ...) الآيات إلى قوله: (وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)[٥٧] - يعرض لذكر ما ورد من الروايات في نوع الطعام الذي نزلت به «مائدة السماء»، ثم يُعقب على هذا بقوله: "وأما الصواب من القول فيما كان على «المائدة» فأن يقال: كان عليها مأكول، وجائز أن يكون سمكا وخبزًا، وجائز أن يكون ثمرًا من «الجنة»، وغير نافع العلم به، ولا ضار الجهل به، إذا أقرَّ تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل"[٥٨]. ثم أكد تلك النتيجة بمثال آخر؛ حيث قال: "كما نراه عند تفسير قوله تعالى من سورة «يوسف»: (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ)[٥٩] - يعرض

(٥٢) الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص١١١.
(٥٣) سورة الكهف: الآية ٩٤.
(٥٤) الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص١١١.
(٥٥) انظر: المصدر نفسه: ج١٨، ص١١٠.
(٥٦) انظر: المصدر نفسه: ج١٨، ص١١٠ و١١١.
(٥٧) سورة المائدة: الآيات ١١٢ - ١١٤.
(٥٨) انظر: د.محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج١، ص١٥٥.
(٥٩) سورة يوسف: الآية ٢٠.

لمحاولات قدماء المفسِّرين فى تحديد عدد الدراهم، هل هى عشرون؟ أو اثنان وعشرون؟ أو أربعون؟.. إلى آخر ما ذكره من الروايات، ثم يُعقب على ذلك كله بقوله: "والصواب من القول أن يقال: إنَّ الله (تعالى ذكره) أخبر أنهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة، ولم يحد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد، ولا وضع عليه دلالة فى كتاب ولا خبر من الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وقد يحتمل أن يكون كان اثنين وعشرين، وأن يكون كان أربعين، وأقل من ذلك وأكثر، وأى ذلك فإنها كانت معدودة غير موزونة، وليس فى العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع فى دين، ولا فى الجهل به دخول ضُر فيه، والإيمان بظاهر التنزيل فرض، وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه"[٦٠].

وإنما آثارت هذه النتيجة عجبي كونها صدرت من عالم محقق شهد له أهل العلم، وثانيا لما سأسوقه من خلال هذا المبحث من دلائل قاطعة – لا أقول على خطأ هذه النتيجة – بل أقول على نقصانها؛ لأنها تناولت جانبا من الحقيقة، وأغفلت جوانبَ، ولعلي أزعم – وليس لمثلي أن يتجرأ على ذلك – أن نتائج أخرى في هذا الكتاب طبعت بهذا الطابع؛ نظرا لانشغال صاحبها بالمسح الأفقي دون العمودي، ما أنتج لنا مثل هذه النتائج، ولصحابها كل العذر في ذلك، وهو يمثل مرحلة كان هو أحد روادها، ولكن علينا نحن طلاب العلم أن نتنبه لذلك.

أعود فأقول: كما كانت «الإسرائيليات» ذات دور بارز في توجيه اختيارات «ابن جرير» التأويلية للقصص القرآني، كذلك كان لها دورٌ بأرزٌ في الكشف عن «المبهمات» في «قصص سورة الكهف»؛ ففي «قصة أصحاب الكهف» ظهر ذلك بوضوح، من ذلك ما جاء في تفسير قول الله تعالى: (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ)[٦١]؛ حيث قال «الطبري» (رحمه الله): "وأما قوله: (فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ) فإنه يعني به: فصيروا إلى غار الجبل الذي يسمى «بنجلوس»، (يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) يقول: يبسط لكم ربكم من رحمته بتيسيره لكم المخرج من الأمر الذي قد رُمِيتم به من الكافر «دقينوس» وطلبه إياكم لعرضكم على الفتنة"[٦٢]. فذكر اسم الجبل «بنجلوس» واسم ذلك الكافر «دقينوس». وهنا يظهر اختيار «الطبري» في اسم الجبل واسم الملك الكافر، حيث ذكر في مواضع أخرى من القصة نفسها روايات مختلفة فيما بينها في اسم الجبل واسم الملك الكافر دون أن يرجح بينها، فصار كلامه - هنا- دليلا على اختياره. وهو ما أكده في موضع آخر، وذلك عند تأويل قوله تعالى: (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ)[٦٣] حيث قال: "يعنون بذلك: «دقينوس» وأصحابه.."[٦٤].

وفي القصة نفسها عند تفسير قوله تعالى: (فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ)[٦٥] ذكر اسم المبعوث؛ حيث قال «الطبري»: "وقد ذكرنا الرواية بأن الذي بعث معه بالوَرِق إلى المدينة كان اسمه «يمليخا»"[٦٦]؛ يقصد بذلك الروايات الإسرائيلية التي

(٦٠) انظر: د.محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج١، ص١٥٥.

(٦١) سورة الكهف: الآية ١٦.

(٦٢) الطبري: جامع البيان، ج١٧، ص٦١٧.

(٦٣) سورة الكهف: الآية ٢٠.

(٦٤) الطبري: جامع البيان، ج١٧، ص٦٣٩.

(٦٥) سورة الكهف: الآية ١٩.

(٦٦) الطبري: جامع البيان، ج١٧، ص٦٣٧.

ذكرها في غير هذا الموضع، وقد أكد ذلك برواية رواها عن «مقاتل» ذكر فيها أن اسمه «يمليخ»[٦٧]. ثم ذكر المدينة؛ فبين أنها مدينتهم التي خرجوا منها هِرابا، وأنها تسمى «أفسوس»[٦٨]. ثم بين بعد ذلك أن الذين أعثروا على الفتية من قوم «تيذوسيس»[٦٩].

بهذا وغيره يظهر كيف كانت «الإسرائيليات» ذات فاعلية في الكشف عن «المبهمات» عند الإمام «الطبري» في «قصة أصحاب الكهف»، ويعد تأويل «الطبري» للقرآن من خلال معطيات هذه الروايات إقراراً منه بصحتها.

وفي «قصة موسى والعبد الصالح» حاول «الطبري» - كذلك - الكشف عن المبهمات من خلال ما يسوقه من روايات عن السابقين؛ من ذلك تأويله للبحرين في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا)[٧٠]؛ قال: "وقيل: عنى بقوله: (مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ) اجتماع بحر «فارس» و«الروم»"[٧١]. ثم شرع في ذكر من قال ذلك؛ فروى عن «قتادة» روايتين وعن «مجاهد» رواية كلها تقول "البحران: بحر «فارس» وبحر «الروم»"[٧٢]، وذكر رواية عن «ابن عباس» لم يتمها[٧٣]، ثم ذكر عن «محمد بن كعب» أن "(مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ): «طنجة»"[٧٤].

وفي سياق القصة نفسها عند تأويل قوله تعالى: (فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ..)[٧٥]؛ كشف عن اسم القرية؛ حيث قال: "وقيل: إن القرية التي استطعم أهلها «موسى» وصاحبه، فأبوا أن يضيفوهما: «الأيلة»"[٧٦]. ثم ذكر ذلك عن «محمد بن سيرين»[٧٧]. وفي سياق تأويله لقول الله تعالى: (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ..)[٧٨]؛ كشف عن اسم

---

(٦٧) انظر: المصدر نفسه: ج١٧، ص٦٣٧.

(٦٨) انظر: المصدر نفسه: ج١٧، ص٦٢٨.

(٦٩) انظر: المصدر نفسه: ج١٧، ص٦٤٠.

(٧٠) سورة الكهف: الآية ٦٠.

(٧١) الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص٥٥.

(٧٢) انظر: الموضع نفسه.

(٧٣) حيث قال: "حدثني «محمد بن سعد»، قال : ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن «ابن عباس»، قال: (مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ)...". قال محققه «محمود محمد شاكر»: "بياض بالأصل، وفي الدر عن «ابن عباس»: " تفسير مجمع البحرين: بملتقى البحرين" ا.هـ. وهو كلام لم يضف للرواية شيئا. (انظر: ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج١٨، ص٥٥، هامش رقم (١)، طبعة الرسالة).وفي طبعة «هجر» قال المحقق - بعد أن أورد الرواية مبتورة أيضا-: "بعده في الأصل: (البحرين)، ولم يذكر المصنف المتن هنا اجتزاءً بما ذكر قبله"ا.هـ. (انظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج١٥، ص٣٠٩، هامش رقم (٤)، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى، دار هجر، القاهرة – مصر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م). وهذا الكلام لا يتفق مع طريقة الإمام «الطبري»، ذلك أنه يذكر الروايات على تعددها واتحاد ألفاظها دون أن يحذف منها شيئا، وإذا أراد أن يختزل الرواية روى سندها ثم قال: "مثله" – كما فعل بعد ذلك بصفحة واحدة – (ط١/١٨/٥٦)، (ط٢/١٥/٣١٠و٣١١) – وكذلك بعدها بعدة صفحات – (ط١/١٨/٦٠ و٦١)،(ط٢/١٥/٣١٧ و٣١٨) – حين ذكر روايتين عن «مجاهد»؛ ذكر في الثانية السند ثم قال: "..عن«مجاهد» مثله" في إحالة= = منه على ماسبق، فهذه طريقته، أما أن يذكر نصف الرواية ويترك نصفها الأخر، فليست هذه طريقته، وليست هذه طريقة تعتبر. ثم إن الحذف يقتضي أن يكون في الكلام ما يدل عليه حتى يكون بليغا، ولا دليل عليه هنا، وعليه يكون الذي حدث – هنا – أقرب ما يكون إلى أنه سقط من الناسخ لا اجتزاء من المصنف.

(٧٤) انظر: الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص٥٦.

(٧٥) سورة الكهف: الآية ٧٧.

(٧٦) الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص٧٨.

(٧٧) انظر: الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص٧٨.

(٧٨) سورة الكهف: الآية ٧٩.

ذلك الملك من خلال رواية رواها عن «شعيب الجبَئِيّ» ذكر فيها أن اسم الرجل الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا: «هُدَدُ بنُ بُدد»[٧٩].

وعند تأويل قوله تعالى: (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا)[٨٠]؛ حاول الكشف عن نوع ذلك البدل؛ فقال: "وقيل: إن الله (عزّ وجلّ) أبدل أبوي الغلام الذي قتله صاحب «موسى» منه بجارية"[٨١]. ثم شرع في ذكر من قال ذلك؛ فذكر ذلك عن «عمرو بن قيس» و«يعقوب بن عاصم» و«سعيد بن جبير»[٨٢]، ثم كشف النقاب عن الرأي الثاني؛ فقال: "وقال آخرون: أبدلهما ربهما بغلام مسلم"[٨٣]. ثم شرع في ذكر من قال ذلك؛ فذكر ذلك عن «ابن جريج»[٨٤]. ولم يرجح بين الروايات، ولم يقل بعدها كلمة، ولعل قوله في أول الكلام: "وقيل:.." يكشف عن أنه يرى أنه لا فرق، وليس ثمة ضرورة تدعو إلى البحث فيه. ومن ثم الاختيار أو الإنكار.

أقول: والبحث عن مثل هذا مما لا طائل تحته، ولعل «الطبري» نفسه يرى ذلك، والدليل بداءة كلامه عنه بصيغة التمريض؛ وهي قوله "وقيل: ..". ولا يختلف أحد من العلماء على أن البحث في مثل هذا النوع من المبهم لا يجدي نفعًا، ولا يروي ظمأً، بالإضافة إلى أنه لا دليل عليه من كتاب ولا سنة. قال الشيخ «محمد الأمين الشنقيطي» - صاحب «أضواء البيان» - : "والعلماء مختلفون في تعيين «البحرين» المذكورين"[٨٥]، ثم شرع في بيان هذا الاختلاف[٨٦]، ثم قال: "ومعلوم أن تعيين «البحرين» من النوع الذي قدمنا أنه لا دليل عليه من كتاب ولا سنة، وليس في معرفته فائدة، فالبحث عنه تعب لا طائل تحته، وليس عليه دليل يجب الرجوع إليه"[٨٧]. وهذا الكلام ينطبق على غير ذلك من المبهمات التي حاول «الطبري» الكشف عنها من خلال هذه القصة، والتي ذكرتُها – هنا -.

وفي «قصة ذي القرنين» لك أن تتأمل الدور الذي لعبته «الروايات الإسرائيلية» - بل و«التاريخية» - في الكشف عن «مبهمات القرآن»، ومدى فاعلية ذلك في الغاية التعبدية التي من أجلها أنزل الله الكتب، وأرسل الرسل؛ فعند تأويل قوله تعالى: (وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا)[٨٨] قال «الطبري»: "ذُكر أن أولئك القوم يقال لهم: «ناسك»"[٨٩]، ولم يرو في ذلك شيئا. وعند تأويل قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا)[٩٠] ذكر «الطبري» أن قوما سمَّوْهم قالوا: "هم الزنج"[٩١]، ثم ذكر رواية عن

(٧٩) انظر: الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص٨٤.
(٨٠) سورة الكهف: الآية ٨١.
(٨١) الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص٨٦.
(٨٢) انظر: الموضع نفسه.
(٨٣) الموضع نفسه.
(٨٤) انظر: المصدر نفسه: ج١٨، ص٨٦ و٨٧.
(٨٥) انظر: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٣، ص٣٢١، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
(٨٦) انظر: المرجع نفسه: ج٣، ص٣٢١ و٣٢٢.
(٨٧) محمد الأمين الشنقيطي: أضواء البيان، ج٣، ص٣٢٢.
(٨٨) سورة الكهف: الآية ٨٥.
(٨٩) الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص٩٧.
(٩٠) سورة الكهف: الآية ٩٠.
(٩١) الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص١٠٠.

«قتادة» قال: "يُقال: هم الزنج"[٩٢]. وفي قوله - هنا - "يُقال" وقول «الطبري» في التي قبلها: "ذُكر" دليل على ضعف ذلك عندهما، وأن ذلك قِولا نقله كل منهما عن غيره، وعدم تصريحهما بذلك الغير هو ما يشعرك أن ذلك مُستقى من «الإسرائيليات».

وعند تأويل قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا)[٩٣] تكلم «الطبري» - كذلك- عن هؤلاء القوم وعن ذلك الستر محاولة منه في إزالة ذلك الحجاب عن هذا المبهم؛ فقال: "يقول (تعالى ذكره): ووجد «ذو القرنين» الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا، وذلك أن أرضهم لا جبل فيها ولا شجر، ولا تحتمل بناء، فيسكنوا البيوت، وإنما يغورون في المياه، أو يسربون في الأسراب"[٩٤]. ثم ذكر في ذلك رواية عن «الحسن» تكلم فيها عن أرضهم؛ فقال: "كانت أرضا لا تحتمل البناء، وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس تغور في الماء، فإذا غربت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم"[٩٥]، ثم قال: "هذا حديث «سمرة»"[٩٦]. وذكر روايتين عن «قتادة» قال في الأولى: "ذُكر لنا أنهم كانوا في مكان لا يستقرّ عليه البناء، وإنما يكونون في أسراب لهم، حتى إذا زالت عنهم الشمس خرجوا إلى معايشهم وحروثهم"[٩٧]. وفي الثانية قال: "بلغنا أنهم كانوا في مكان لا يثبت عليهم بناء، فكانوا يدخلون في أسراب لهم إذا طلعت الشمس، حتى تزول عنهم، ثم يخرجون إلى معايشهم"[٩٨]. وذكر رواية «ابن جريج» فيها زيادة تفصيل؛ حيث قال: "لم يبنوا فيها بناء قط، ولم يبن عليهم فيها بناء قط، وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس، أو دخلوا البحر، وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل، وجاءهم جيش مرّة، فقال لهم أهلها: لا تطلعن عليكم الشمس وأنتم بها، فقالوا: لا نبرح حتى تطلع الشمس، ما هذه العظام؟ قالوا: هذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس هاهنا، فماتوا. قال: فذهبوا هاربين في الأرض"[٩٩].

وهذه الزيادة التي ذكر «ابن جريج» - من كلامه عن ذلك الجيش- تشعرك أنها من «الإسرائيليات»، سيما وأنه خالف غيره ممن رُوِيَ عنه في ذلك، فإنهم لم يذكروا ذلك، ولم يخرجوا في روايتهم عما قاله «الطبري»، وأشار كل منهما إلى أنه لم يقل ذلك من قبل رأيه؛ فختم «الحسن» مقالته بقوله: "هذا حديث «سمرة»"، وقدم «قتادة» لمقالته في الرواية الأولى بقوله: "ذُكر لنا" ، وفي الثانية بقوله: "بلغنا"، وهي عبارات تغنيك عن البيان، وتكفيك في الدلالة على أن ذلك نقلٌ عن غيرهم، وقد غابت مثل هذه العبارات عن رواية «ابن جريج»، فهل قال ذلك برأيه أم نقلها عن غيره؟ وعلى كل فليس لنا بها حاجة، وفيما ذكره غيره كفاية. وفيما ذكره هو دلالة على أن «المبهم» يحث أهل التأويل على نقل

---

(٩٢) انظر: الموضع نفسه.

(٩٣) سورة الكهف: الآية ٩٠.

(٩٤) الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص٩٩.

(٩٥) انظر: الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص٩٩ و١٠٠.

(٩٦) انظر: المصدر نفسه: ج١٨، ص١٠٠. وحديث «سمرة» هذا لم أقف عليه عند أحد من أهل الحديث، ولم أجده عند أحد من أهل السير إلا واحدا، فقد روى «أبو الشيخ الأصبهاني» في «العظمة» عن «الحسن» عن «سمرة» قال النبي (ص): {سترا لم يبن فيها بناء قط، ولم يبن عليهم بنيان قط، كانوا إذا طلعت الشمس دخلو سربا لهم حتى تزول} ا.هـ ولم أجد ذلك عند أحد غيره. (انظر: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني(أبو الشيخ الأصبهاني): العظمة، ج٤، ص١٤٧١، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض – السعودية، ١٤٠٨هـ، ٥ج).

(٩٧) انظر: الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص١٠٠.

(٩٨) انظر: الموضع نفسه.

(٩٩) انظر: الموضع نفسه.

الروايات محاولة منهم لكشفه. من هنا وَجدت «الإسرائيليات» لها طريقا ومسلكا إلى كتب أهل التفسير.

وإذا حاولنا أن نلتمس الأعذار للإمام «الطبري» فيما ذُكِر، فأيُّ عذرٍ يُلتمَس له فيما هو آتٍ ذكرُه، ففي الإشارة إلى «قصة عصيان إبليس» عند القول في تأويل قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)[100] - تكلم الإمام «الطبري» عن «إبليس» هل هو من «الجن» أو من «الملائكة»؟ فذكر فيما ذكر عند ذلك من الروايات عن «ابن عباس» أنه سماه في بعضها «عزازيل»[101]، وفي بعضها «الحارث»[102]. وتكلم بعد ذلك عن ذرية «إبليس»؛ فقال: "وذرّية إبليس: الشياطين الذين يغرّون بني آدم"[103]. ثم روى رواية عن «مجاهد» زاد من خلالها هذا المبهم بيانا؛ فقال: "كما حدثنا «القاسم»، قال: ثنا «الحسين»، قال: ثني «حجاج»، عن «ابن جريج»، عن «مجاهد» (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي) قال: ذرّيته: هم الشياطين، وكان يعدّهم «زلنبور» صاحب الأسواق، ويضع رايته في كلّ سوق ما بين السماء والأرض، و«ثبر» صاحب المصائب، و«الأعور» صاحب الزنا، و«مسوط» صاحب الأخبار، يأتي بها، فيلقيها في أفواه الناس، ولا يجدون لها أصلا، و«داسم» الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع، وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه"[104]. وأكد هذه الرواية برواية أخرى عن «الأعمش» عنه أنه قال: "هم أربعة: «ثبر»، و«داسم»، و«زلنبور»، و«الأعور». و«مسوط» أحدها"[105]. فذكر الخمسة التي ذكرها في الرواية الأولى، وروى كذلك بسنده عن «الأعمش» أنه كان يقول: "إذا دخلتُ البيت ولم أسلم، رأيت مطهرة، فقلت: ارفعوا ارفعوا، وخاصمتهم، ثم أذكر، فأقول: داسم داسم"[106]. فذكر واحدا من الخمسة التي ذكرها «مجاهد»؛ وهو «داسم» الموكل بالبيوت.

وعلى كل فمن المعلوم أن لـ«إبليس» وذريته أسماء، ولكن معرفتها تحتاج إلى وحي؛ لأن ذلك من علم الغيب، ولم يروَ ذلك عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولا عن أحد من أصحابه حتى نرفعه إليه. ولم يصح عنه (صلى الله عليه وسلم) من الأحاديث التي ذكر فيها اسم شيطان إلا الحديث الذي أخرجه «مسلم» في «صحيحه» قال: "حدثنا «يحيى بن خلف الباهلي» حدثنا «عبدالأعلى» عن «سعيد الجريري» عن «أبي العلاء»: أن «عثمان بن أبي العاص»[107] أتى النبيَّ (صلى الله عليه وسلم)، فقال: "يا رسول الله إن الشيطان قد حال

---

(١٠٠) سورة الكهف: الآية٥٠.

(١٠١) انظر: الطبري: جامع البيان، (ج١، ص٥٠٢ و٥٠٣) و(ج١٨، ص٣٩ و٤٠).

(١٠٢) انظر: المصدر نفسه: ج١، ص٥٠٢.

(١٠٣) انظر: المصدر نفسه: ج١٨، ص٤٣.

(١٠٤) انظر: المصدر نفسه: ج١٨، ص٤٣ و٤٤. وقد روى هذا الأثر «أبو الشيخ الأصبهاني» في «العظمة» بسند آخر بغير هذا الترتيب. (انظر: أبو الشيخ الأصبهاني: العظمة، ج٥، ص١٦٨٢ و١٦٨٣).

(١٠٥) انظر: الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص٤٤.

(١٠٦) انظر: الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص٤٤.

(١٠٧) «عثمان بن أبي العاص»: هو أبو عبدالله عثمان بن أبي العاص الثقفي الطائفي، نزيل البصرة، الصحابي الشهير، أسلم في وفد «ثقيف»، وكان هو الذي منع «ثقيفا» عن الردة؛ خطبهم فقال: "كنتم آخر الناس إسلامًا، فلا تكونوا أوّلهم ارتدادا". توفي بـ«البصرة» في خلافة «معاوية»، قيل: سنة (٥٥)، وقيل: سنة (٥١). (انظر: أبو الحسن عبيدالله بن محمد عبدالسلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت١٤١٤هـ): مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج١، ص١٥٦، رقم (٧٧)، الطبعة الثالثة، ط.إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس، الهند، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ"، فقال رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم): {ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ «خِنْزِبٌ»[١٠٨]، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا} فقال: "ففعلت ذلك، فأذهبه الله عنّي"[١٠٩].

وأما حديث «الترمذي» الذي ذكر فيه اسم شيطان الوضوء «الولهان»، فضعيف[١١٠]، ورواه غيره من غير الوجه الذي رواه به، وقال: موضوع[١١١].

---

(١٠٨) بالنسبة لضبط «خنزب» قال «النووي» في شرح هذا الحديث: "أما «خنزب» فبخاء معجمة مكسورة، ثم نون ساكنة، ثم زاى مكسورة [«خِنْزَب»] ومفتوحة [«خِنْزَب»]، ويقال – أيضا- بفتح الخاء والزاى [«خَنْزَب»]- حكاه «القاضي»، ويقال – أيضا- بضم الخاء وفتح الزاى [«خُنْزَب»]- حكاه «ابن الأثير» فى «النهاية»، وهو غريب"ا.هـ. وبذلك نكون أمام ثلاث روايات صحيحة؛ هي «خِنْزِب» و«خَنْزَب»، ورواية وصفها «النووي» بأنها غريبة؛ وهي «خُنْزَب». (انظر: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مُري النووي (ت٦٧٦هـ): المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٤، ص١٩٠، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٣٩٢هـ، ١٨ج).

(١٠٩) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ): صحيح مسلم، ج٤، ص١٧٢٨، رقم٢٢٠٣، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د.ت. و«الجريري»: هو سعيد بن إياس، و«أبو العلاء»: هو يزيد بن عبد الله بن الشخير. والحديث: جاء في غير «مسلم»، من طرق صححها بعض أهل العلم وحسنها البعض الآخر؛ فقد أخرجه «ابن أبي شيبة» في «مصنفه». (انظر: أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت٢٣٥هـ): المصنف في الأحاديث والآثار، (ج٥، ص٥١، رقم٢٣٦٠٠)، (ج٦، ص٧٦، رقم٢٩٥٩١)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض – السعودية، ١٤٠٩هـ، ٧ج). وأخرجه «عبدالرزاق» في «مصنفه». (انظر: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني: مصنف عبد الرزاق، ج٢ (ص٨٥، رقم٢٥٨٢)، (ص٤٩٩، رقم٤٢٢٠)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ، ١١ج). وأخرجه الإمام «أحمد بن حنبل» في «مسنده». (انظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٢٩ (ص٤٢٩، رقم١٧٨٩٧) و(ص٤٣٠، رقم١٧٨٩٨)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد – وآخرون، إشراف: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ٤٥ج). قال «محققه» (ج٢٩، ص٤٢٩، هامش١) (ج٢٩، ص٤٣٠، هامش١): "إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه، فلم يرو له سوى مسلم"ا.هـ. وأخرجه «عبد بن حميد» في «مسنده». (انظر: أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي [وقيل: اسمه «عبد الحميد»] (ت٢٤٩هـ): المنتخب من مسند عبد بن حميد، ص١٤٨، رقم٣٨٠ و٣٨١، تحقيق: صبحي البدري السامرائي - محمود محمد خليل الصعيدي، الطبعة الأولى، مكتبة السنة، القاهرة – مصر، ١٤٠٨ه – ١٩٨٨م، اج). وأخرجه «الطبراني» في «الكبير». (انظر: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (ت٣٦٠هـ): المعجم الكبير، ج٩ (ص٥٢، رقم٨٣٦٦) و(ص٥٣، رقم٨٣٦٨)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الطبعة الثانية، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م، ٢٠ج). وأخرجه «الحاكم» في «المستدرك»، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"ا.هـ، ووافقه «الذهبي» في «التلخيص» قال: "صحيح". (انظر: أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص٢٤٤، رقم (٧٥١٤)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ٤ج، مع الكتاب تعليقات «الذهبي» في «التلخيص»). وحسنه «الألباني» في «صفة الصلاة» (ص١٢٧). وقد أخرجه «البيهقي» في «الدلائل» بغير هذا السياق من طريق «الحسن» عن «عثمان بن أبي العاص». (انظر: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسْرَوْجِردي البيهقي النيسابوري الخراساني الشافعي (ت٤٥٨هـ): دلائل النبوة، ج٥، ص٣٠٧ و٣٠٨، تحقيق وتعليق: د.عبد المعطى قلعجي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - ودار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٧ج). وحديثه لا يخلو من مقال كما أشار إلى ذلك «شعيب الأرنؤوط» محقق «مسند أحمد بن حنبل» (انظر: ج٢٩، ص٤٢٩، هامش١، ط.الرسالة).

(١١٠) قال «الترمذي»: "حدثنا «محمد بن بشار»: حدثنا «أبو داود الطيالسي»: حدثنا «خارجة بن مصعب»، عن «يونس بن عبيد»، عن «الحسن»، عن «عُتَيِّ بن ضَمْرَةَ السَّعْدِيِّ»، عن «أُبَيِّ بن كعب»، عن النبي (صلَّى الله عليه وسلَّم) قال: {إِنَّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَانًا، يُقَالُ لَهُ: الْوَلَهَانُ، فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ}". قال «الترمذي»: "وفي الباب عن «عبد الله بن عمرو» و«عبد الله بن مغفل». قال «أبو عيسى» [يقصد نفسه]: حديث «أُبَيِّ بن كعب» حديث غريب وليس إسناده بالقوي والصحيح عند أهل الحديث؛ لأنَّا لا نعلم أحدا أسنده غير «خارجة». وقد رُوِيَ هذا الحديث من غير وَجْهٍ، عن «الحسن» قوله: ولا يصح في هذا الباب عن النبي (صلى الله عليه وسلم) شيء و«خارجة» ليس بالقوى عند أصحابنا، وضعفه «ابن المبارك»"ا.هـ. قال الشيخ الألباني: "ضعيف جدا". (انظر: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي السلمي (ت٢٧٩هـ): الجامع الصحيح سنن الترمذي، ج١، ص٨٤، رقم (٥٧)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د.ت، ٥ج، الأحاديث مذيلة بأحكام «الألباني» عليها. وانظر – كذلك -: محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ): ضعيف سنن الترمذي، (ص٦، رقم٤٣)). والحديث بهذا السند وهذا المتن أخرجه «ابن ماجة» في

وبهذا يتبين أنه لم يصح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا تسميته لشيطان الصلاة «خنزب»، أما غير ذلك فواهٍ ضعيف؛ قال الشيخ «شمس الدين بن القيم»: "وفي الباب حديث «أبي بن كعب» عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: {إِنَّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ «الوَلْهَان»، فَاتَّقُوا وسْواسَ المَاءِ} - رواه «الترمذي»، وقال: "غريب، ليس إسناده بالقوي عند أهل الحديث، لا نعلم أحدا أسنده غير «خارجة» - يعني «ابن مصعب»- قال: وقد رُوِيَ هذا الحديث مِن غير وجهٍ عن «الحسن»، قوله. ولا يصح في هذا الباب عن النبي (صلى الله عليه وسلم) شيء، و«خارجة» ضعيف، ليس بالقوي عند أصحابنا، وضعفه «ابن المبارك»؛ قال: وفي الباب عن «عبد الله بن عمرو»، و«عبد الله بن مغفل». هذا آخر كلامه"[١١٢]. فنقل الحديث، ونقل تعليق «الترمذي» عليه، ثم قال: "والذي صح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) تسمية شيطان الصلاة الذي يوسوس للمصلي فيها «خنزب» - رواه «مسلم» في «صحيحه» من حديث «عمارة بن أبي العاص الثقفي»"[١١٣] ا.هـ.

وبعد أن علمتَ ضعف ذلك، فالسؤال الآن: ما وجه الحاجة إلى معرفة ذلك؟ قال «الغزالي» في «الإحياء»: "فإن قلت: فالداعي إلى المعاصي المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون؟ فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك في المعاملة، فاشتغل بدفع العدو، ولا تسأل عن صفته.."[١١٤].

بهذا يعلم أنه لا حاجة لنا لمعرفة ذلك، وأن مثل هذه الأمور تضر ولا تنفع، فإنها تضر بما تضيع من الأوقات في سبيل روايتها والوقوف على صحتها وضعفها، ولا تنفع لأنها لا تعين على التعبد الذي هو الغاية التي من أجلها خلق الله الإنسان، ومن أجلها أنزل «القرآن»، فأي فارق بين أن تعلم اسم الشيطان ودوره من عدمه، بل إن في ذلك تعظيما له

«السنن». (انظر: أبوعبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت٢٧٣هـ): سنن ابن ماجة، ج١، ص١٤٦، رقم (٤٢١)، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار الفكر، بيروت – لبنان، د.ت، ٢ج، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها).

(١١١) وقد جاء الحديث من وجه آخر أكثر ضعفا من هذا الوجه الذي ذكره «الترمذي»؛ قال «أبو الحسن الكناني»: "حديث: "إن شيطانا بين السماء والأرض يقال له الولهان معه ثمانية أمثال ولد آدم من الجنود وله خليفة يقال له خنزب فإذا لم يستقبل العبد شيئا أخذه بالوضوء حتى يهلكه فمن أصابه شيء من ذلك فإذا قدم الوضوء فليقل أعوذ بالله من خنزب وأشباهه من أهل الأرض سبع مرات، فإنه ينقطع عنه، ويكفيه من الماء للوضوء ما يكفي من الدهن". («ابن الجوزي» في «الواهيات»، وقال: الحديث على هذا الوصف موضوع، والمتهم به «حبيب بن أبي حبيب»). قلتُ: قوله (على هذا الوصف) يشير إلى أن ذكر «الولهان» جاء في حديث آخر على غير هذا الوجه وهو ما رواه «الترمذي» وغيره عن «أُبَيّ» مرفوعا: "إن للوضوء شيطانا يقال له «الولهان»، فاتقوا وسواس الماء"، وفي إسناده ضعف، فإنه من طريق «خارجة بن مصعب»، ولذلك أورده «ابن الجوزي» في «الواهيات»، والله تعالى أعلم"ا.هـ. (أبو الحسن على بن محمد بن العراق الكناني: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، ج٢، ص٧١ و٧٢، رقم (٢٥)، تحقيق: عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٨١م، ٢ج). وقد أورد هذا الحديث «الملا علي القاري» في «الموضوعات الكبرى»، والشوكاني في «الفوائد المجموعة»، وقالا: "قال «ابن الجوزي»: موضوع". (انظر: نور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا علي القاري (ت١٠١٤هـ): الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى، ص١٢٢ و١٢٣، رقم (٧٩)، تحقيق: محمد الصباغ، طبعة دار الأمانة / مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، اج. محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ): الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص١٤، رقم (٣٨)، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ، ١ج). وانظر - أيضا-: إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ج١، ص٢٢٨، رقم (٧٠٢)، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د.ت). ولا يفهم من ذلك عدم صحة ذكر مسمى «خنزب»، ولكن الضعف جاء من جهة تلك الإضافة؛ لأن حديث الصلاة وارد في «صحيح مسلم» كما بينتُ.

(١١٢) ابن قيم الجوزية: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته، ج١، ص٦٧ و٦٨.

(١١٣) انظر: المرجع نفسه: ج١، ص٦٨. وانظر – أيضا –: أبو الطيب آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج١، ص١١٩.

(١١٤) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ): إحياء علوم الدين، ج٣، ص٣٨ و٣٩، طبعة دار المعرفة، بيروت – لبنان، د.ت.

ولذريته، لذلك نهى النبي (صلَّى الله عليه وسلَّم) أحد أصحابه أن يذكر – لا اسم الشيطان – بل لقبه، حين قال عند عثور جمله أو حماره: "تعس الشيطان"؛ فقال النبي(صلَّى الله عليه وسلَّم): {لاَ تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولَ بِقُوَّتِى، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ}[(١١٥)].

المبحث الرابع: عذرا أيها الإمام الجَليل:

والباحث لا يجد عذرا لذكر الإمام «ابن جرير» لمثل تلك الروايات إلا مقالة الدكتور: «محمد حسين الذهبي» في كتابه «التفسير والمفسرون»: "على أن «ابن جرير» – كما قدَّمنا – قد ذكر لنا السند بتمامه فى كل رواية يرويها، وبذلك يكون قد خرج من العهدة، وعلينا نحن أن ننظر فى السند، ونتفقد الروايات"[(١١٦)].

وأما قوله (رحمه الله): "وإذا كان «ابن جرير» يتعقب كثيرًا من هذه الروايات بالنقد، فتفسيره لا يزال يحتاج إلى النقد الفاحص الشامل احتياج كثير من كتب التفسير التى اشتملت على الموضوع والقصص الإسرائيلى"[(١١٧)]، فصحيح أنه "يحتاج إلى النقد الفاحص الشامل"، أما أنه كان "يتعقب كثيرًا من هذه الروايات بالنقد"؛ فلعلي يعوزني الدليل عليه؛ إذ لم أجد له في تفسيره – أو على حد تعبيره تأويله – لـ«قصص سورة الكهف» تعليقا واحدا نقد من خلاله رواية من تلك الروايات الإسرائيلية التي حشد بها تفسيره، اللهم إلا تعليقا ذكره في قصة «موسى والعبد الصالح» عند تأويل قوله تعالى:

---

(١١٥) الحديث: أخرجه «أبوداود» في «سننه»؛ قال: "حدثنا «وهب بن بقية»، عن «خالد» – يعني «ابن عبد الله»–، عن «الحذاء»–، عن «أبي تميمة»، عن «أبي المليح»، عن رجل قال: = =(كنت رديف النبي (صلى الله عليه وسلم)، فعثرت دابته، فقلتُ: تعس الشيطان، فقال: {لاَ تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولَ بِقُوَّتِى، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ}. قال الشيخ «الألباني»: "صحيح". (أبو داود سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو، الأزدي السجستاني (ت٢٧٥هـ): سنن أبي داود، ج٢، ص٧١٤، رقم (٤٩٨٢)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار الفكر، بيروت – لبنان، د.ت، ٤ج، ومع الكتاب: تعليقات كمَال يوسُفْ الحوُت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها). وأخرجه «النسائي» في «سننه» به. (انظر: أبو عبد الرحمن = = أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي الكبير (ت٣٠٣هـ): سنن النسائي الكبرى، ج٦ (ص١٤٢، رقم١٠٣٨٨ و١٠٣٨٩) و(ص١٤٣، رقم١٠٣٩٠)، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري – سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، ٦ج). وأخرجه «عبدالرزاق» في «مصنفه» (ج١١، ص٤٢٤، رقم (٢٠٨٩٩)). وأخرجه «البيهقي» في «شعب الإيمان». (انظر: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي (ت٤٥٨هـ): شعب الإيمان، ج٧ (ص١٦١، رقم٤٨١٩) و(ص١٦٢، رقم٤٨٢٠ و٤٨٢١)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د.عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض – بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، ١٤ج). كلهم لم يسمِّ رديف النبي، وأخرجه «الحاكم» في «المستدرك»، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ورديف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي لم يسمه «يزيد بن زريع» عن «خالد» سماه غيره «أسامة بن مالك» والد «أبي المليح بن أسامة»"ا.هـ، ووافقه «الذهبي» في «التلخيص» قال: "صحيح". (انظر: أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٤ (ص٣٢٤، رقم٧٧٩٢، ص٣٢٥، رقم٧٧٩٣)، مع الكتاب تعليقات «الذهبي» في «التلخيص»). وأخرجه «الطبراني» في «المعجم الكبير» عن «أبي المليح» عن أبيه «أسامة»؛ فسماه. (انظر: الطبراني: المعجم الكبير، ج١، ص١٩٤، رقم (٥١٦)). وأخرجه الإمام «أحمد بن حنبل» في «مسنده» (ج٣٤ (ص١٩٨، رقم٢٠٥٩١) و(ص١٩٩، رقم٢٠٥٩٢) و(ص٢٩١، رقم٢٠٦٩٠)، ج٣٨ (ص١٨٢، رقم٢٣٠٩٢)). قال محققه «شعيب الأرنؤوط» (ج٣٤، ص١٩٨، هامش١): "حديث صحيح، وهذا الحديث اختلف فيه على «أبي تميمة»– وهو «طريف بن مجالد الهجيمي»– فمرة يرويه عمن كان رديف النبي (صلى الله عليه وسلم) كما في رواية المصنف هذه، ومرة يرويه عن رجل عن رديف النبي (صلى الله عليه وسلم) كما في روايتي «شعبة» و«سفيان» عن «عاصم»– وهو «ابن سليمان الأحول»– الآتيتين بالأرقام (٢٠٥٩٢) و(٢٠٦٩٠) و(٢٣٠٩٢)، وكما في رواية الجمهور عن «خالد الحذاء» عنه، وسيأتي تخريجها، وقد بين فيها التابعي المبهم الذي في روايتي «شعبة» و«سفيان»: وهو «أبو المليح بن أسامة الهذلي»، وهو ثقة من رجال الجماعة، فلا يبعد أن يكون «أبو تميمة» سمعه من الوجهين، وأداهما جميعا، والله أعلم".

(١١٦) د.محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج١، ص١٥٥.

(١١٧) د.محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج١، ص١٥٥.

(فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ)[118]؛ حيث قال: "وقوله (فَأَقَامَهُ): ذُكِر عن «ابن عباس» أنه قال: هدمه، ثم قعد يبنيه"[119]. ثم ذكر سند هذه الرواية[120]، ثم روى رواية أخرى عن «سعيد بن جبير» قال: "رفع الجدار بيده، فاستقام"[121]. ثم قال: "... ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر للعذر قاطع بأي ذلك كان من أي"[122].

بهذا يكون «الطبري» قد اختار عدم الترجيح؛ لأنه لا دليل من الكتاب أو السنة يقطع بأحد الأقوال. فتبين بذلك أن ما أبهمه «القرآن» لا يقطع به إلا من خلال «الكتاب» و«السنة» أو أحدهما، ولا يمكن القطع به من قبيل «الرأي» و«العقل»؛ لأنه لا مدخل له فيه. وليته أعمل هذه القاعدة في جميع المبهمات التي لا دليل عليها من الكتاب والسنة؛ فإنه لو فعل لأراح واستراح من ذلك العناء الذي لا طائل تحته.

وإنك لتعجب أشد العجب حين ترى الإمام «الطبري» يروي في موضع واحد بما يقارب العشر صفحات دون تعليق واحد منه على الرغم مما تراه من تناقض بين الروايات، وعلى الرغم مما تراه فيها من الأباطيل والخرافات[123].

وهو ما يدل على عدم وضوح المنهج عند الإمام «الطبري» في التعامل مع «الإسرائيليات» مما أوقعه في «التناقض»؛ ففي الوقت الذي لم يستغرق فيما استغرق فيه غيره من المفسرين من بعده من الكلام حول اسم الكلب ولونه، وجل ما تعرض له ذكر خلاف العلماء مجملا حول ماهيته، حيث قال: "وقوله: (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ)[124] اختلف أهل التأويل في الذي عنى الله بقوله: (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ) فقال بعضهم: هو كلب من كلابهم كان معهم، وقد ذكرنا كثيرا ممن قال ذلك فيما مضى[125]، وقال بعضهم: كان إنسانا من الناس طباخا لهم تَبِعهم"[126]. فاستخدم الإحالة مع الرأي الأول حيث أحال على ما سبق ذكره من إسرائيليات عند تأويل قوله تعالى: (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)[127]. ومع الرأي الثاني لم يذكر شيئا. بهذا يكون «الطبري» (رحمه الله) أغنانا في هذا الباب عن غيره وأراحنا من هذا العناء الذي سببوه لنا بذكر كثير من التفاصيل عن اسم الكلب ولونه وغير ذلك من الأمور التي لا تفيد في الغاية التعبدية – على نحو ما سيأتي بيانه عند الحديث عن «ابن كثير» في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

لكنه في مواضع أخرى شغلنا بما لا يجب أن ننشغل به، بل ونهينا عنه، على نحو ما فعل في «قصة أصحاب الكهف» عند تأويل قوله تعالى: (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا

(١١٨) سورة الكهف: الآية ٧٧.

(١١٩) انظر: الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص٨١.

(١٢٠) انظر: الموضع نفسه.

(١٢١) انظر: الموضع نفسه.

(١٢٢) الموضع نفسه.

(١٢٣) انظر: المصدر نفسه: ج١٨، ص٤٤ وما بعدها.

(١٢٤) سورة الكهف: الآية ١٨.

(١٢٥) انظر: الطبري: جامع البيان، ج١٧، ص٦٠٨ و٦١١ و٦١٢. حيث ذكر ذلك عن «ابن عباس» وكذلك عن «عبد الله بن عبيد بن عمير».

(١٢٦) المصدر نفسه: ج١٧، ص٦٢٤.

(١٢٧) سورة الكهف: الآية ٩.

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)[١٢٨]؛ حيث ذكر اختلاف أهل العلم في سبب مصير هؤلاء الفِتية إلى الكهف الذي ذكره الله في كتابه، فأتى في ذلك من «الإسرائيليات» الشيء الكثير[١٢٩]، والدليل أن ذلك من «الإسرائيليات» تعداد أصحاب الكهف وذكر أسمائهم، بل ونسبة ذلك - على خطئه - لـ«ابن عباس»؛ حيث ذكر في رواية عن «ابن عباس»[١٣٠] من طريق «ابن إسحاق» جاء فيها أنه قال عن هؤلاء الفتية: "فكانوا كذلك في عبادة الله ليلهم ونهارهم، يبكون إلى الله، ويستغيثونه، وكانوا ثمانية نفر: «مَكسِلمينا» - وكان أكبرهم، وهو الذي كلم الملك عنهم - و«مُحْسيميلنينا»، و«يمليخا»، و«مَرْطوس»، و«كشوطوش»، و«بيرونس»، و«دينموس»، و«يطونس قالوس»"[١٣١]. فعدهم ثمانية.

وهذا يخالف روايات ذكرها هو نفسه من قبل عن «ابن عباس» تفيد أنه قال: إنهم سبعة. بل ويخالف رواية رواها هو نفسه عن «ابن إسحاق» عند القول في تأويل قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ..)[١٣٢] الآية؛ حيث ذكر عن «ابن إسحاق» أنهم تسعة حيث روى عنه رواية[١٣٣] جاء فيها أثناء تصويره للمشهد الختامي (مشهد البعث): "... ثم دخل على إثر «يمليخا» «أريوس»، فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة، فقام بباب الكهف، ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة، ففتح التابوت عندهم، فوجدوا فيه لوحين من رصاص، مكتوبا فيهما كتاب، فقرأهما فوجد فيهما أن «مكسلمينا»، و«محسلمينا»، و«يمليخا»، و«مرطونس»، و«كسطونس»، و«يبورس»، و«يكرونس»، و«يطبيونس»، و«قالوش»، كانوا فتية هربوا من ملكهم «دقينوس» الجبار، مخافة أن يفتنهم عن دينهم، فدخلوا هذا الكهف..."[١٣٤].

وهذا الذي تراه من اختلاف الأسماء بين الروايتين من حيث العدد ومن حيث النطق دليل على عدم صحتهما سيما وأنهما من طريق واحد لم يصححه أهل العلم، وهو طريق «ابن إسحاق»؛ قال «ابن عطية» في تفسيره «المحرر الوجيز» عن «أصحاب الكهف»: "وأما أسماؤهم فهي أعجمية، والسند في معرفتها واه"[١٣٥].

ومعلوم أن الله قد نهى الأمة في شخص النبي عن مثل هذا النوع من البحث حين قال مخاطبا إياه: (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا)[١٣٦]. فإذا كان الله قد نهى نبيه عن ذلك فأي عذر يقطع به للإمام «الطبري» في بحثه في مثل ذلك.

---

(١٢٨) سورة الكهف: الآية ٩.

(١٢٩) انظر: الطبري: جامع البيان، ج١٧، ص٦٠٥ - ٦١٣.

(١٣٠) انظر: المصدر نفسه: ج١٧، ص٦٠٨ - ٦١١.

(١٣١) انظر: الطبري: جامع البيان، ج١٧، ص٦٠٨.

(١٣٢) سورة الكهف: الآية ١٩.

(١٣٣) انظر: الطبري: جامع البيان، ج١٧، ص٦٢٩ - ٦٣٦.

(١٣٤) انظر: المصدر نفسه: ج١٧، ص٦٣٤.

(١٣٥) انظر: أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية المحاربي (ت٥٤١هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٥، ص٥٦٩، تحقيق وتعليق: الرَّحَالة الفاروق - عبد الله بن إبراهيم الأنصاري - السيد عبد العال السيد إبراهيم - محمد الشافعي الصَّادق العناني، الطبعة الثانية، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، تنفيذ: دار الخير، بيروت - لبنان، دمشق - سورية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ٨ج.

(١٣٦) سورة الكهف: الآية ٢٢.

اللهم إلا أن يُقال: إن "... وجود هذه الإسرائيليات في تفاسير هذه المرحلة يجب أن يُفهَم في سياق «مقاصد الجمع» الذي ميّزها"[١٣٧]، لكن هذا الجمع أو التجميع للنقول لم يسلم من بعض الظواهر السلبية المصاحبة لهذه النقول التي لم تسلم من الخلط بين ما هو تفسير وبيان وبين ما هو أساطير وخرافات، كما حدث مع «الإسرائيليات»، وذلك نتيجة لعدم نقدها وتمحيصها.

و«الطبري» - باعتباره أحد أهم رواد هذه المرحلة – كان منهجه خير دليل على ذلك، حيث كان منهجه يقوم على "... تجميع النصوص المفسرة، وإسنادها إلى قائليها، وإحالة مسألة مناقشتها ونقدها إلى المتلقي، لذلك قلما تعرَّض لنقد هذه الروايات"[١٣٨].

وهذا ما أشار إليه الدكتور «محمد حسين الذهبي» نفسه حين تكلم عن موقف الإمام «الطبري» من الأسانيد؛ يقول (رحمه الله): "ثم إن ابن جرير وإن التزم فى تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها، إلا أنه فى الأعم الأغلب لا يتعقب الأسانيد بتصحيح ولا تضعيف، لأنه كان يرى - كما هو مقرر فى أصول الحديث - أنَّ مَن أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح، فهو بعمله هذا قد خرج من العهدة"[١٣٩]، لكنه أشار – أيضا– إلى أن موقف الإمام «الطبري» من الأسانيد في بعض الأحيان لم يقف عند هذا الحد؛ حيث قال: "ومع ذلك فـ«ابن جرير» يقف من السند - أحيانًا - موقف الناقد البصير، فيُعَدِّل مَنْ يُعَدِّل من رجال الإسناد، ويُجرِّح مَنْ يُجَرِّح منهم، ويرد الرواية التى لا يثق بصحتها، ويُصرِّح برأيه فيها بما يناسبها"[١٤٠].

وينهض مثالا على ذلك – كما أشار إلى ذلك د.«الذهبي» – ما جاء في «قصة ذي القرنين» عند تفسير قول الله تعالى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[١٤١] حيث ذكر «الطبري» اختلاف القرّاء في قراءة ذلك، بضمّ السين وفتحها[١٤٢]، ثم ذكر روايتين في توجيه القراءتين؛ الأولى عن «أبي عمرو بن العلاء» قال فيها: "وكان «أبو عمرو بن العلاء» يفتح السين في هذه السورة، ويضمّ السين في «يس»، ويقول: (السَّدُّ) بالفتح: هو الحاجز بينك وبين الشيء، و(السُّدُّ) بالضم: ما كان من غشاوة في العين"[١٤٣]، والثانية عن «عكرمة» قال فيها: "رُوِي عن «عكرمة» فى ذلك ما حدَّثنا به «أحمد بن يوسف»، قال: حدَّثنا «القاسم»، قال: حدَّثنا «حجاج»، عن «هارون»، عن «أيوب»، عن «عكرمة» قال: ما كان من صنعة بنى آدم هو (السَّد) - يعني بالفتح، وما كان من صنع الله فهو (السُّد)"[١٤٤]، ثم عقب على ذلك بقوله: "والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، ولغتان متفقتا المعنى غير مختلفة، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، ولا معنى للفرق الذي ذكر عن أبي عمرو بن العلاء، وعكرمة بين السُّد والسَّد، لأنا لم نجد لذلك شاهدا يبين عن فرق ما بين ذلك على ما حكي عنهما. ومما يبين

---

(١٣٧) د.فريدة زمرد: ظهور التفسير القرآني – دراسة في المأثور وأسباب النزول، ص٢٥، مجلة التفاهم، العدد ٤٥ (القرآن الكريم بين التفسير والتأويل)، السنة الحادية عشرة، صيف ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط - سلطنة عمان.

(١٣٨) الموضع نفسه.

(١٣٩) د.محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج١، ص١٥٢.

(١٤٠) المرجع نفسه: ج١، ص١٥٢ و١٥٣.

(١٤١) سورة الكهف: الآية ٩٤.

(١٤٢) انظر: الطبري: جامع البيان، ج١٨، ص١٠١ و١٠٢.

(١٤٣) انظر: المصدر نفسه: ج١٨، ص١٠١.

(١٤٤) انظر: المصدر نفسه: ج١٨، ص١٠٢.

ذلك أن جميع أهل التأويل الذين رُوي لنا عنهم في ذلك قول - لم يحك لنا عن أحد منهم تفصيل بين فتح ذلك وضمه، ولو كانا مختلفي المعنى لنقل الفصل مع التأويل إن شاء الله. ولكن معنى ذلك كان عندهم غير مفترق، فيفسر الحرف بغير تفصيل منهم بين ذلك. وأما ما ذكره عن «عكرمة» فى ذلك، فإنَّ الذى نقلَ عن «أيوب» «هارون»، وفى نقله نظر، ولا نعرف ذلك عن «أيوب» من رواية ثقاة أصحابه. و(السَّد) و(السُّد) جميعا: الحاجز بين الشيئين، وهما ها هنا فيما ذُكر جبلان سدّ ما بينهما.."[١٤٥].

هذا المثال هو الوحيد الذي وجدته للإمام «الطبري» علَّق فيه على سند من الأسانيد من خلال ما جاء من تفسيره لـ«قصص سورة الكهف»، وهو ذاته المثال الذي حاول من خلاله الدكتور «محمد حسين الذهبي» أن يبين موقف «الطبري» من الأسانيد[١٤٦]، لكن لعله بالغ حين أراد أن يثبت من خلال مثال واحد أنه دليل على أن «الطبري» وقف من هذه الروايات الإسرائيلية "موقف الناقد البصير".

وهذا الذي أقول لا يقلل من أهمية تلك التعليقات، لكن ينبغي أن توضع في سياقها دون مبالغة في إثبات دورها، ودون إهمال مالها من دور. حيث يمكن القول: إن تعليقات «الطبري» - على قلتها – كانت كالمقدمات (الإرهاصات) التي فتحت الباب أمام من جاء بعده من المفسرين لنقد هذه الروايات وإعمال العقل فيها؛ يقول الأستاذ الدكتور: «أحمد الشرباصي» - بعد كلام له عن «تفسير الطبري»-: "ويعد كتاب «الطبري» مرحلة أولى في التفسير مهدت لفتح الباب أمام المرحلة الثانية من مراحله، من خلال تفصيلاته واستطراداته واختياراته وآرائه التي مثلت معبرا واضحا إلى مدرسة التفسير التي تلت عصره، وهي مدرسة «التفسير بالرأي»"[١٤٧]. وفي موضع آخر يؤكد د.«الشرباصي» أن هذه ليست وجهة نظره وحده، بل رأي ارتآه أكثر أهل العلم؛ يقول: "والكثيرون على أن أعظم كتاب يضم «المأثور» من التفسير هو تفسير «محمد بن جرير الطبري» (ت٣١٠هـ)، وهو يعد حجر الأساس في «أدب التفسير القرآني»، وفيه بذور لإبداء النظر في التفسير، وفتح للباب أمام إعمال الرأي في التفسير"[١٤٨].

❖❖❖

□

(١٤٥) المصدر نفسه: ج١٨، ص١٩.

(١٤٦) انظر: د.محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج١، ص١٥٣.

(١٤٧) أ.د.أحمد الشرباصي: قصة التفسير، ج١، ص١١٢ و١١٣، طبعة الأزهر (هدية مجلة الأزهر)، القاهرة – مصر، جمادي الأولى، ١٤٢٧هـ. (بتصرف).

(١٤٨) المرجع نفسه: ج١، ص١٠٩.

الخاتمة:

لقد صار تفسير «الطبري» بهذا الجمع بين النقل والعقل مرجعا لأصحاب كلا المنهجين (النقلي والعقلي)، بل وصار محل عناية أصحاب «المنهج النقدي» - الذين استقوا منه مادة عملهم؛ يقول الدكتور: «محمد حسين الذهبي» : "يعتبر تفسير «ابن جرير» من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يعتبر المرجع الأول عند المفسِّرين الذين عنوا بـ«التفسير النقلي»، وإن كان فى الوقت نفسه يُعتبر مرجعًا غير قليل الأهمية من مراجع «التفسير العقلي»، نظرًا لما فيه من الاستنباط، وتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، ترجيحًا يعتمد على النظر العقلى، والبحث الحر الدقيق"[١٤٩].

وأجدني - هنا - مضطرا لنقل كلام قاله الدكتور «محمد حسين الذهبي» أوجز فيه وأنجز؛ يقول (رحمه الله): "وبعد.. فإن ما جمعه ابن جرير فى كتابه من أقوال المفسِّرين الذين تقدَّموا عليه، وما نقله لنا من مدرسة «ابن عباس»، ومدرسة «ابن مسعود»، ومدرسة «على بن أبى طالب»، ومدرسة «أُبَيّ بن كعب»، وما استفاده مما جمعه «ابن جريج» و«السدي» و«ابن إسحاق» وغيرهم من التفاسير جعلت هذا الكتاب أعظم الكتب المؤلفة فى «التفسير بالمأثور»، كما أن ما جاء فى كتابه من إعراب، وتوجيهات لغوية، واستنباطات فى نواحٍ متعددة، وترجيح لبعض الأقوال على بعض، كان نقطة التحول فى التفسير، ونواة لما وُجِد بعد من «التفسير بالرأى»، كما كان مظهرًا من مظاهر الروح العلمية السائدة فى هذا العصر الذى يعيش فيه «ابن جرير»، وفى الحق إن شخصية «ابن جرير» الأدبية والعلمية، جعلت تفسيره مرجعًا مهمًّا من مراجع التفسير بالرواية، فترجيحاته المختلفة تقوم على نظرات أدبية ولغوية وعلمية قيِّمة، فوق ما جمع فيه من الروايات الأثرية المتكاثرة"[١٥٠]. ولذلك فإن الدكتور «الذهبي» يرى "... أن الكتاب - [يقصد تفسير «الطبري»] - واحد فى بابه، سبق به مؤلفه غيره من المفسِّرين، فكان عمدة المتأخرين، ومرجعًا مهمًا من مراجع المفسِّرين، على اختلاف مذاهبهم، وتعدد طرائقهم"[١٥١].

وإذا كنتُ أوافقه في كثير مما قال؛ فإني لا أتفقُ مع هذه النظرة التي تحمل شيئا من المبالغة جعل كثيرًا من أهل العلم وطلابه يتخوفون من إعادة النظر في هذا الكتاب المذكور، الأمر الذي يقتضيه تغير الزمن وسياق الحال والمحتوى الثقافي، وإنه لمن المؤسف أن ترى بعض «المستشرقين» يقول: "إنه يمكن الاستغناء بـ«تفسير الطبري» عن كل كتب التفسير المتأخرة عليه"[١٥٢]. والمؤسف أكثر أن ترى أحد علمائنا - وهو الأستاذ الدكتور «أحمد الشرباصي» - ينقل عنهم هذا الكلام دون أن يرده[١٥٣] لا سيما وأنه يخالف «عالمية القرآن»، ومناسبته لكل زمان، وصلاحيته لكل مكان، وقدرته على إمداد الناظرين فيه بالجديد حال صلاحيتهم لذلك وتأهلهم له، وإلا صارت معانيه كالخلق البالية، ولا يشك أحد في أن «القرآن» وإن كان ثابتًا بلفظه فإنه متجدد بمعانيه؛ لأنه كلام العلي القدير، وكلامه لا يفنى ولا يبيد، ولا يستطيعه العبيد؛ قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا

(١٤٩) د.محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج١، ص١٤٩.

(١٥٠) المرجع نفسه: ج١، ص١٥٩.

(١٥١) المرجع نفسه: ج١، ص١٥١.

(١٥٢) انظر: أ.د.أحمد الشرباصي: قصة التفسير، ج١، ص١١٠.

(١٥٣) وإذا كنا نتفهم كلام «المستشرقين» في سياق ما يمكن أن يقال عنه كيد بهذا الدين في محاولة منهم لتشويهه؛ أولا بإدخال هذه الإسرائيليات حتى بثت في الكتب، ثم بتعظيم وتمجيد من بثوها في كتبهم، فيتحقق لهم بذلك غرضهم، فما الذي يمكن أن يقال عن كلام أهل العلم الذين ينقلون كلامهم دون رد عليهم. اللهم غفرا.

لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)[١٥٤]. فما زلنا – ولا نزال – في حاجة إلى عطاءات الله لفهم مقاصده من الخطاب بما يتناسب مع السياقات والأحوال. (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ)[١٥٥].

(١٥٤) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

(١٥٥) سورة الزمر: الآية ٢١.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: المصادر الأساسية:

- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري أبو جعفر (ت٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل آي القرآن، حققه وعلق حواشيه: محمود محمد شاكر، راجعه وخرج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٢٤ج.
- ..... : جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى، دار هجر، القاهرة – مصر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٢٤ج.

ثالثا: المصادر الثانوية:

- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء (ت٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٨ج.
- إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د.ت.
- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي البيهقي النيسابوري الخراساني الشافعي أبو بكر (ت٤٥٨هـ): دلائل النبوة، تحقيق وتعليق: د.عبد المعطى قلعجى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - ودار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٧ج.
- ..... : شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د.عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض - بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ١٤ج.
- أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي الكبير أبو عبد الرحمن (ت٣٠٣هـ): سنن النسائي الكبرى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري - سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ٦ج.
- أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله (ت٢٤١هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد – وآخرون، إشراف: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ٤٥ج.
- الحسين بن إسماعيل الضبي المحاملي أبو عبد الله (ت٣٣٠هـ): أمالي المحاملي، تحقيق: د.إبراهيم القيسي، الطبعة الأولى، المكتبة الإسلامية، عمان – الأردن / دار ابن القيم، الدمام – السعودية، ١٤١٢هـ، ١ج.
- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني أبو القاسم(ت٣٦٠هـ): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الطبعة الثانية، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م، ٢٠ج.
- ..... : المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد - عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، طبعة دار الحرمين، القاهرة – مصر، ١٤١٥هـ، ١٠ج.
- سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني أبو داود (ت٢٧٥هـ): سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار الفكر، بيروت - لبنان، د.ت، ٤ج، ومع الكتاب: تعليقات كمال يوسف الحوت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

- عبد بن حميد بن نصر الكسي [وقيل: اسمه «عبد الحميد»] أبو محمد (ت٢٤٩هـ): المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي - محمود محمد خليل الصعيدي، الطبعة الأولى، مكتبة السنة، القاهرة – مصر، ١٤٠٨ه – ١٩٨٨م، ١ج.
- عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية المحاربي أبو محمد (ت٥٤١هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق وتعليق: الرَّحَالة الفاروق – عبد الله بن إبراهيم الأنصاري – السيد عبد العال السيد إبراهيم – محمد الشافعي الصَّادق العناني، الطبعة الثانية، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، تنفيذ: دار الخير، بيروت – لبنان، دمشق – سورية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ٨ج.
- عبد الرزاق بن همام الصنعاني أبو بكر: مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ، ١١ج.
- عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن أبي شيبة العبسي الكوفي أبو بكر (ت٢٣٥هـ): المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض – السعودية، ١٤٠٩هـ، ٧ج.
- عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني المعروف بـ(أبو الشيخ الأصبهاني): العظمة، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض – السعودية، ١٤٠٨هـ، ٥ج.
- علي بن أبي بكر الهيثمي نور الدين: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، طبعة دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٢هـ، ١٠ج.
- علي بن محمد بن سلطان نور الدين المشهور بالملا علي القاري (ت١٠١٤هـ): الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى، تحقيق: محمد الصباغ، طبعة دار الأمانة / مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ١ج.
- على بن محمد بن العراق الكناني أبو الحسن: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، تحقيق: عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٨١م، ٢ج.
- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله (ت٢٥٦هـ): الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعرف بـ«صحيح البخاري»، تحقيق وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٦ج.
- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي أبو عبد الله (ت٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة – مصر، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ٢٠ج، ١٠مج.
- محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري أبو عبد الله: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ٤ج، مع الكتاب تعليقات «الذهبي» في «التلخيص».
- محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ): الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ، ١ج.

- محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي السلمي أبو عيسى (ت٢٧٩هـ): الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د.ت، ٥ج. والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
- محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد (ت٥٠٥هـ): إحياء علوم الدين، طبعة دار المعرفة، بيروت – لبنان، د.ت.
- محمد بن يزيد القزويني أبوعبد الله، وماجة اسم أبيه يزيد (ت٢٧٣هـ): سنن ابن ماجة، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار الفكر، بيروت – لبنان، د.ت، ٢ج. والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو الحسين (ت٢٦١هـ): صحيح مسلم، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د.ت.
- يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي أبو زكريا (ت٦٧٦هـ): المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٣٩٢هـ، ١٨ج.

رابعا: المراجع الحديثة:

- عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري أبو الحسن (ت١٤١٤هـ): مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الطبعة الثالثة، طبعة إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية – بنارس، الهند، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- أ.د.محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، طبعة مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، ٢٠٠٠م، ٣ج.
- أ.د.محمد بن محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير، الطبعة الرابعة، مكتبة السنة، القاهرة – مصر، د.ت، ١ج.

خامسا: الأبحاث المنشورة:

- أ.د.أحمد الشرباصي: قصة التفسير، طبعة الأزهر (هدية مجلة الأزهر)، القاهرة – مصر، جمادي الأولى، ١٤٢٧هـ.
- د.فريدة زمرد: ظهور التفسير القرآني – دراسة في المأثور وأسباب النزول، مجلة التفاهم، العدد ٤٥ (القرآن الكريم بين التفسير والتأويل)، السنة الحادية عشرة، صيف ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط - سلطنة عمان.

سادسا: المعاجم وكتب التراجم:

- محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي: مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، طبعة مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ١ج.
- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، طبع مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة – مصر، ١٩٣٦م.

❖❖❖